

في غابة الشياطين

كامل كيلاني



في غابة الشياطين

في غابة الشياطين

تأليف
كامل كيلاني



في غابة الشياطين

كامل كيلاني

رقم إيداع ٢٠١٢/١٩٢٠٤

تدمك: ٥ ٠٨٥ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٢٧٤٣١ + فاكس: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥١ +

البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org

الموقع الإلكتروني: <http://www.kalimat.org>

الغلاف: رسم ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لشركة كلمات عربية
لترجمة والنشر. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية
العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Kalimat Arabia.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧

١٩

٣٣

٥٣

١- غَابَةُ الشَّيَاطِينِ

٢- أُسِيرَةُ الشَّيْطَانِ

٣- زَعِيمُ الْقُرُودِ

٤- آخِرَةُ الشَّيْطَانِ

الفصل الأول

غَابَةُ الشَّيَاطِينِ

(١) حَفْلَةُ التَّنْوِيحِ

فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الصَّيْفِ الْبَهِيجَةِ كَانَ الشَّعْبُ الْهِنْدِيُّ يُعِدُّ مُعَدَّاتِهِ فِي مَدِينَةِ «أُنْدِيَا» الْمَحْبُوبَةِ — حَاضِرَةِ مَمْلَكَةِ «كُوسَالَا» الشَّاسِعَةِ — لِيَحْتَفِلُوا فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بِتَّنْوِيحِ أَمِيرِهِمْ «رَامَا» الَّذِي أَفْتَتَنَ الشَّعْبُ بِحُبِّهِ؛ لِمَا تَمَيَّزَ بِهِ عَلَى أُمْرَاءِ عَصْرِهِ، مِنْ بَاهِرِ الْمَزَايَا، وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ. وَقَدْ أَفْتَنَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَيَّامًا أَفْتِنَانٍ؛ فَعَلَّقُوا — فِي أَعَالِي الْأَشْجَارِ — مِنْ الْمَصَابِيحِ الْمُتَالِقَةِ أَشْبَاهَ الثَّرِيَّا الْمُنُورَةِ، وَزَيَّنُوا مَعَابِدَ الْمَدِينَةِ بِالْأَعْلَامِ الْخَفَّاقَةِ، وَعَطَّرُوا الْجَوَّ بِالطَّيِّبِ الشَّدِيِّ، وَالْبَحُورِ الدَّكِّيِّ، وَالزَّهْرِ الْجَنِيِّ.

وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَحَدٌ إِلَّا أَسْهَمَ فِي هَذَا الْاِحْتِفَالِ الْعَظِيمِ، وَبَاتَ يَتَرَقَّبُ فَجْرَ الْيَوْمِ التَّالِيِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.

وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الشَّعْبَ قَدْ أَحَبَّ أَمِيرَهُ «رَامَا» وَزَوْجَهُ الصَّغِيرَةَ «سَيْتَا» حُبًّا لَا يُوصَفُ.

(٢) الْحَاسِدَاتَانِ

كَانَ الْأَمِيرُ «رَامَا» وَلِيَّ الْعَهْدِ. وَقَدْ أَرَادَ وَالِدُهُ الشَّيْخُ الْهَرَمُ — بَعْدَ أَنْ شَعَرَ بِضَعْفِ صِحَّتِهِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْقِيَامِ بِأَعْبَائِهِ — أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الْمُلْكِ، وَيَعْهَدَ بِأَمْرِهِ إِلَى وَدَيْهِ «رَامَا» ابْنِهِ الْأَكْبَرِ. وَقَدْ فَضَّلَهُ عَلَى أَحْوِيهِ «بَهَارَات» وَ«لَكْشْمَان»، وَأَثَرَهُ بَأَنَّ يُقَاسِمَهُ الْعَرْشَ فِي حَيَاتِهِ، لِيَخْلُفَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ. وَقَدْ أَحَبَّ النَّاسُ جَمِيعًا هَذَا الْأَمِيرَ، مَا عَدَا امْرَأَتَيْنِ أَوْعَرَ الْحِقْدُ صَدْرَيْهِمَا، وَكَادَ

الْحَسَدُ يَأْكُلُ قَلْبَيْهِمَا. وَلَمْ يَكُنْ لِلْأَمِيرِ يَدٌ فِي تِلْكَ الْكَرَاهِيَةِ الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا نَفْسَاهُمَا، وَلَا حِيلَةً فِي دَفْعِ أَدَاهُمَا. أَمَّا هَاتَانِ الْمَرْأَتَانِ، فَأُولَاهُمَا: الْمَلِكَةُ «كَيْكِي» زَوْجُ أَبِيهِ، وَالْأُخْرَى: خَادِمُهَا الْعَجُوزُ الْمَاكِرَةُ «مَنْتَارَا». وَكَانَتْ هَذِهِ الْعَجُوزُ وَفِيَّهِ لِمَوْلَاتِهَا، عَالِمَةٌ بِكُلِّ أَسْرَارِهَا، وَقَدْ انْطَوَى صَدْرُهَا عَلَى حُبِّ دَفِينِ.

(٣) رَغْبَةُ خَبِيثَةٍ



وَقَدْ وَقَفَتِ الْمَلِكَةُ وَخَادِمُهَا تَنْظُرَانِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ — مِنْ نَافِذَةِ الْقَصْرِ — إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَمُوجُ بِالْوُفُودِ الْقَادِمَةِ مِنْ بُلْدَانِ الْمَمْلَكَةِ دَانِيَّةٍ وَقَاصِيَّةٍ، وَهِيَ رَائِحَةٌ وَغَادِيَّةٌ، وَقَدْ عَلَا وَجُوهُهُمُ الْبِشْرُ، وَازْدَحَمَتْ بِهِمُ الطَّرِيقَاتُ، وَارْتَفَعَتْ — مِنْ أَلْسِنَتِهِمْ — الدَّعَاوَاتُ،

فَصَاحَتِ الْمَلِكَةُ «كَيْكِي» مُتَأَلِّمَةً: «وَاحْسَرَتَاهُ — يَا «مَنْتَارَا» — عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَفْرَاحَ لَمْ تُقَمِّ
لَوْلَايَ «بَهَارَات» بَدَلًا مِنْ «رَامَا» وَلِدِ صَرَّتِي! وَلَكِنْ هَكَذَا شَاءَ حَظُّنَا الْمُنْكَوْدُ!»
فَأَجَابَتْهَا «مَنْتَارَا»، وَعَلَى شَفَقَتِهَا ابْتِسَامَةً حَبِيْبَةً: «مَا أَيْسَرَ هَذَا الْمُطْلَبَ، يَا سَيِّدَتِي!
وَمَا أَجْدَرَكِ بِتَحْقِيقِهِ! أَلَيْسَ وَلَدُكَ الْأَمِيرُ «بَهَارَات» يَنْعُمُ — مِنْ حُبِّ أَبِيهِ الْمَلِكِ «دَسْرَاتَا»
وَرِعَايَتِهِ — بِمِثْلِ مَا يَنْعُمُ بِهِ أَخُوهُ «رَامَا» وَوَلِيُّ الْعَهْدِ؟»
فَسَأَلَتْهَا «كَيْكِي» مُتَعَجِّبَةً: «مَا أَبْعَدَ مَا تَظَنِّينَ! أَوْتَحَسِّبِينَ أَنَّ زَوْجِي يَسْتَمِعُ لِي، إِذَا
طَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يُنَوِّجَ وَلَدِي «بَهَارَات» بَدَلًا مِنْ أَخِيهِ «رَامَا»؟ بِأَيِّ مُحَالٍ تَحْلُمِينَ؟»
فَأَجَابَتْهَا «مَنْتَارَا»: «هُونِي عَلَيْكِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَيْسَرُ مِمَّا تَظَنِّينَ، وَفِي قُدْرَتِكَ أَنْ تُدْرِكِي
أَبْعَدَ مِمَّا تَطْلُبِينَ!»

(٤) حِيلَةُ الْعَجُوزِ

فَقَالَتْ «كَيْكِي» مُتَأَلِّفَةً: «كَيْفَ تَقُولِينَ؟»
فَابْتَسَمَتِ الْعَجُوزُ قَائِلَةً: «أَلَا تَذَكِّرِينَ مَا أَسْلَفْتِهِ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ صَنِيعِ جَلِيلٍ فِي الْحَرْبِ
الْمَاضِيَةِ، مُنْذُ سَنِينَ عِدَّةٍ؟ أَنْسِيَتْ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَفَ — حِينَئِذٍ — عَلَى التَّلْفِ، لَوْلَا عِنَايَتُكَ
بِجِرَاحِهِ؟ وَقَدْ عَرَفَ لِذَلِكَ التَّرِيَاقِ، الَّذِي بَلَسَمَتْ بِهِ جِرَاحَهُ، فَضْلَهُ الْعَظِيمَ فِي شِفَائِهِ،
وَأَقْسَمَ — حِينَئِذٍ — لِيُظْفِرَنَّكَ بِأُمْنِيَّتَيْنِ فِي أَيِّ وَقْتٍ تَشَاءِينَ. أَتَذَكِّرِينَ ذَلِكَ؟ وَهَا أَنْتِ ذِي لَمْ
تَطْلُبِي مِنْهُ شَيْئًا مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ. وَقَدْ جَاءَ الْوَقْتُ لِتَحْقِيقِ أَحْلَامِكِ، فَلَا تُضِيعِي الْفُرْصَةَ.»
فَلَمْ تَدْرِ الْمَلِكَةُ كَيْفَ تُجِيبُ مِنْ شِدَّةِ الْحَيْرَةِ، وَلَكِنَّ الْعَجُوزَ الْمَاكِرَةَ اقْتَرَبَتْ مِنْهَا،
وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِهَا بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ، أَوْجَزَتْ بِهَا حُطَّتَهَا الْمُحْكَمَةَ، فَاقْتَنَعَتْ «كَيْكِي» بِمَا
سَمِعَتْ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهَا، فَرِحَةً بِفَوْزِهَا الْوَشِيكِ. وَصَاحَتْ قَائِلَةً: «يَا لِكِ مِنْ حَكِيمَةٍ عَاقِلَةٍ
يَا «مَنْتَارَا»! إِنِّي لِنَصِيحَتِكَ شَاكِرَةٌ، وَلِفَضْلِكَ قَادِرَةٌ (مُقَدَّرَةٌ).»

(٥) الْأُمْنِيَّتَانِ

وَكَانَ الْفَجْرُ — حِينَئِذٍ — قَدْ اقْتَرَبَ، فَلَمْ تُضِعْ «كَيْكِي» شَيْئًا مِنْ وَقْتِهَا؛ لِأَنَّ الْاِحْتِفَالَ
بِالتَّنْوِيحِ يَبْدَأُ عَلَى أَنْ تَشْرُقَ الشَّمْسُ. وَاسْرَعَتْ إِلَى حُجْرَةِ الْمَلِكِ الْهَرِمِ — وَكَانَ

مُضْطَجِعًا عَلَى وَسَادَتِهِ — وَصَاحَتْ قَائِلَةً: «أَذَاكِرُ أَنْتَ أَنْنِي أَنْقَذْتُ حَيَاتَكَ مِنَ التَّلْفِ — مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ — حِينَ دَاوَيْتُ جِرَاحَكَ فِي الْمَوْقِعَةِ الْحَرْبِيَّةِ؟»



فَأَبْتَسَمَ لَهَا الْمَلِكُ، وَأَسْرَعَ يُجِيبُهَا بِقَوْلِهِ: «كَيْفَ أَنْسَى لِكَ هَذَا الصَّنِيعِ، وَلَوْلَا بَلْسَمُكَ الْعَجِيبُ لَكُنْتُ مِنَ الْهَالِكِينَ؟ وَلَسْتُ أَنْسَى أَنْنِي وَعَدَّتْكَ حِينِنِذٍ بِإِجَابَتِكَ إِلَى أُمْنِيَّتَيْنِ تَطْلُبِينَهُمَا فِي أَيِّ وَقْتٍ تَشَائِنِ.»

فَحَنَّتْ «كَيْكِي» رَأْسَهَا شَاكِرَةً مَسْرُورَةً، فَقَالَ لَهَا دُونَ أَنْ يُخَامِرَهُ شَكٌّ فِيمَا تَضْمِرُهُ: «تَمَنِّي عَلَيَّ مَا تُرِيدِينَ، وَإِنِّي لَأَقْسِمُ بِوَلَدِي «رَامَا» الْعَزِيزِ، إِنَّنِي لَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْ تَحْقِيقِ مَا تَطْلُبِينَ، مَا دَامَ ذَلِكَ فِي مَقْدُورِي.»

فَصَاحَتْ «كَيْكِي» مُنْتَصِرَةً: «أَمْنَحْنِي — إِذَنْ — هَاتَيْنِ الرَّغْبَتَيْنِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ: نَوْجٌ وَوَلَدِي «بَهَارَاتُ» هَذَا الْيَوْمِ، وَأَصْدِرْ أَمْرَكَ بِنَفْيِ «رَامَا» إِلَى غَابَةِ «وَنَدَاك»، مُدَّةَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً.»

(٦) وَعِيدُ الْمَلِكَةِ

وَمَا إِنْ سَمِعَ الْمَلِكُ هَاتَيْنِ الْأُمْنِيَّتَيْنِ الْخَبِيثَتَيْنِ، حَتَّى تَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ وَالْفَرَعُ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ فَرَطِ الْحُزْنِ وَالْهَلَعِ. وَصَاحَ فِي صَوْتٍ مُنْهَدِّجٍ: «كَيْفَ تَقُولِينَ، أَيُّنَّهَا الْمَاكِرَةُ؟ أَيُّ

ذَنْبٍ أَسْلَفَهُ إِلَيْكَ فَأَحْفَظَكَ عَلَيْهِ، فَتَمَنَيْتِ أَنْ يُحْرَمَ الْمَلِكُ، ثُمَّ يُنْفَى إِلَى غَابَةِ الشَّيَاطِينِ؟
وكيف دارَ بِخَلْدِكَ أَنْنِي سَأَجِيبُكَ إِلَى هَذَيْنِ الْمَطْلَبَيْنِ الْأَثِيمَيْنِ؟
فَأَجَابَتْهُ «كَيْكِي» دُونَ أَنْ تَعْبَأَ بِمَا قَالَ: «لَيْكُنْ لَكَ مَا تُرِيدُ! أَمَا أَنَا، فَلَنْ أَتَأَخَّرَ عَنْ
إِدَاعَةِ هَذَا السَّرِّ الْخَطِيرِ عَلَى شَعْبِكَ؛ لِيَعْرِفَ أَنَّكَ قَدْ حَنَنْتِ فِي وَعْدِكَ، وَلَمْ تَفِ بِعَهْدِكَ.
وَسَيَعْلَمُونَ قَاطِبَةً أَنَّكَ — وَأَنْتَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ — لَمْ تَبْرِّ بِوَعْدِكَ الْمُقَدَّسِ. وَحِينَئِذٍ يَنْظُرُ
إِلَيْكَ شَعْبُكَ وَشُعُوبُ الْأُمَّمِ الْأُخْرَى كُلُّهَا نَظْرَةَ السُّخْرِيَةِ وَالِاحْتِقَارِ.»

(٧) قَسْوَةُ «كَيْكِي»

فَأَذْرَكَ «دَسْرَاتَا» أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الشَّرِكِ، وَأَصْبَحَ أَسِيرَ وَعْدِهِ، وَلَا مَنَاصَ لَهُ مِنَ الْبِرِّ بِعَهْدِهِ.
وكيف وَقَدْ أَقْسَمَ بِوَلَدِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ سَيَمْنَحُهَا مَا تَطْلُبُ مَتَى أَصْرَتْ عَلَيْهِ، مَهْمَا قَسَتْ فِي
أُمْنِيَّتِهَا، وَتَغَالَتْ فِي رَغْبَتِهَا. فَلَجَأَ إِلَى اللَّيْلِ — بَعْدَ الْعُنْفِ — وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا أَنْ تَسْأَلَهُ مَا
تَشَاءُ، دُونَ أَنْ تُرْغِمَهُ عَلَى نَفْيِ وَلَدِهِ «رَامَا». وَلَكِنَّ «كَيْكِي» أَبَتْ — لِعِلَاطَةِ قَلْبِهَا وَفِطْرَتِهَا
— إِلَّا أَنْ يُبْعِدَ «رَامَا» عَنْ حَاضِرَةِ الْمَمْلَكَةِ إِلَى غَابَةِ «وَنْدَاك». وَإِنَّمَا أَصْرَتْ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهَا
سَمِعَتْ أَنَّهَا مَاهُولَةٌ بِالشَّيَاطِينِ وَالْمَرْدَةِ؛ فإِذَا نَفِي «رَامَا» هُنَاكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا لَمْ يَبْقَ
أَمَلٌ فِي عَوْدَتِهِ حَيًّا. وَبِهَذَا تَضَمَّنَ بَقَاءَ وَلَدِهَا: «بَهَارَات» جَالِسًا عَلَى عَرْشِ «كُوسَلَا» لَا
يُنَازِعُهُ مَنَازِعٌ.

(٨) دَهْشَةُ الْوُفُودِ

ورَأَى «دَسْرَاتَا» مِنْ إِضْرَارِ «كَيْكِي» مَا أَيَّأَسَهُ، فَاضْطُرَّ إِلَى الْإِذْعَانِ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَلَمْ
يَجِدْ مَفْرَأً مِنَ الْبِرِّ بِوَعْدِهِ وَالْوَفَاءِ بِقَسَمِهِ. وَدَخَلَ عَرْفَةَ الْاسْتِقْبَالِ لِيَسْتَقْبَلَ الْمُهَيَّئِينَ — مِنْ
أَعْيَانِ الْأُمَّةِ وَسَرَاتِهَا — وَقَدْ كَادَ قَلْبُهُ يَنْفَطِرُ (يَنْشَقُّ) حُزْنًا وَأَلْمًا.
وما كَانَ أَشَدَّ عَجَبَهُمْ حِينَ سَمِعُوهُ يُعْلِنُ أَنَّ وَلَدِيهِ «بَهَارَات» وَ«رَامَا» سَيُقْتَسِمَانِ
الْعَرْشَ.

فَتَهَامَسَ النَّاسُ — وَقَدْ هَالَهُمْ مَا سَمِعُوا — وَوَقَفَ الْأَمِيرُ «رَامَا» مُتَعَجِّبًا مِمَّا قَالَ
أَبُوهُ، فَهَتَفَ لَهُ السَّرَاةُ وَالْأَعْيَانُ، وَرَدَّدَ هُتَافَهُمْ جُمُهورُ الشَّعْبِ الَّذِي سَرَى فِيهِ الْحَبْرُ

سريانَ البرقي. وكان «راما» — إلى جمالِ خلقه — كريمَ النفس، نبيلَ السجايا، مطبوعًا على الشجاعةِ والصراحةِ، فسأل أباه — في دهشةِ المُعترِّ بكرامته — قائلًا: «هل غضب عليّ والدي العزيزُ — لسببِ أجهلهُ — فاستردَّ ثِقنَه التي كنتُ أنعمُ بها؟»

فلم يستطع الملكُ أن يُغالبَ حزنَه، ويخفي ألمَه الدفين. فقصَّ على ولده — بمحضَرٍ من السادةِ والرؤساءِ — تفصيلَ ما حدث، والدُموعُ تتحدَّرُ من عينيه، والأسى يتلظى بين جنبيه. ثم ختمَ حديثَه قائلًا، في لهجةِ البائسِ الحائرِ: «يوسفُني أن أفضي إليك بهذه الأنباءِ الصَّاعقةِ. ولَيْتَ زَوْجَ أبيكَ وَقَفَتْ عِنْدَ حَرَمَانِكَ العرشِ؛ فقد أَبَتْ إِلَّا أن تُنفَى إلى غابَةِ «وَنَدَاكَ» مُدَّةَ أربعةِ عَشْرَ عامًا كاملةً.»

فصاح السامعون في صوتٍ واحدٍ: «تَبًّا لِهذِهِ القاسيةِ الأثمةِ!»

(٩) شَهَامَةُ الْأَخْوَيْنِ

وهنا أقبلَ الأميرُ «بهاراتُ» على أخيه «راما»، وأمسكَ بيده، مُقسِمًا أَنَّهُ لَنْ يَخْلِفَ أَبَاهُ عَلَى العَرشِ. ولكنَّ «راما» أجابه مُتأسِّفًا: «كَلَّا، أَيُّهَا الأَخُ الكَرِيمُ الطَّاهِرُ القَلْبِ؛ فَقدِ انْتَقَلَ التَّاجُ إِلَيْكَ الآنَ، وَلَا بَدَّ مِنْ إنْجَازِ الوَعْدِ الَّذِي فَاهَ بِهِ والدُنَا. وإِنِّي ذَاهِبٌ — بِمُفْرَدِي — إلى غابَةِ «وَنَدَاكَ». وَلَنْ أَعُودَ إِلَى «أَيْدِيَا» قَبْلَ أَنْ تُنْقِضِي أَرْبَعَةَ عَشْرَ عامًا كاملةً.»

(١٠) شِجَاعَةُ «سِيْتَا» وَ«لِكْشَمَانِ»

وَنَمَّةٌ انْدَفَعَتْ إِلَيْهِمَا الأَمِيرَةُ «سِيْتَا» — وَقَدْ تَجَلَّى حُزْنُهَا العَمِيقُ فِي عَيْنَيْهَا السَّوْدَاوَيْنِ — حَتَّى قَارَبَتْ زَوْجَهَا «راما»، ثُمَّ تَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ ضَارِعَةً أَنْ يَأْذَنَ لَهَا فِي السَّفَرِ مَعَهُ إِلَى تِلْكَ الغابَةِ؛ لِتَشْرَكَهُ فِي ضَرَّائِهِ، كَمَا شَرَكَتُهُ فِي سَرَّائِهِ، فَأَجَابَهَا «راما» — مُتَلَطِّفًا — يَقُولُ: «وَلَكِنَّ غَابَاتِ «وَنَدَاكَ» حَافِلَةٌ بِالْأَخْطَارِ وَالْمَفْرَعَاتِ، وَفِيهَا «رَقَانَا» مَلِكُ الشَّيَاطِينِ الَّذِي طَالَمَا سَمِعْنَا بِأَخْبَارِهِ وَأَخْبَارِ أَعْوَانِهِ الأَشْرَارِ، المُوَلَعِينَ بِالإِسَاءَةِ إِلَى الأَبْرِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ.»

فقاطعه أخوه الأصغرُ، الأميرُ «لِكْشَمَانُ»، وَكَانَ أَكْثَرَ إِخْوَتِهِ إِخْلَاصًا لِأَخِيهِ: «راما»، فقال: «وَإِنِّي مُصَاحِبُكَ يَا أُخِي، وَبِإِذْنِ كُلِّ قُوَّتِي وَجُهْدِي فِي سَبِيلِ المُحَافَظَةِ عَلَى الأَمِيرَةِ «سِيْتَا»..»

وَحَاوَلَ «رَامَا» أَنْ يُنْبِي زَوْجَهُ وَأَخَاهُ عَنِ السَّفَرِ إِلَى غَابَةِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى لَا يُعْرِضَا نَفْسَيْهِمَا لِأَخْطَارِهَا وَأَحْدَاثِهَا الْمُفْرَعَةِ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمَا إِلَّا إِصْرَارًا؛ فَاضْطُرَّ — حِينَئِذٍ — إِلَى الإِدْعَانِ لِرِعْبَتِهِمَا، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِيهِ الشَّيْخِ الْهَرِمِ وَعَانَقَهُ، وَقَالَ لَهُ وَهُوَ يُودِّعُهُ: «هُوَ نَ عَلَيْكَ يَا أَبْتَاهُ، فَلَسْتُ أَلُومُكَ عَلَى شَيْءٍ؛ فَمَا لَكَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِصْبَعٌ وَاحِدَةٌ.»

(١١) وَفَاةُ الشَّيْخِ

وَعَادَرَ الْأُمَرَاءَ الثَّلَاثَةَ الْقَصْرَ، بَيْنَ رَنَاتِ الْمُحْزُونِينَ، وَزَفَرَاتِ الْمُحِبِّينَ، بَعْدَ أَنْ خَلَعُوا أَكْسِيَتَهُمُ الْمُلُوكِيَّةَ، وَازْتَدَوْا — مِنَ الثِّيَابِ — مَا يَلَانِمُ سَكَانَ الْغَابِ. وَسَارُوا فِي الطَّرِيقِ الْجَنُوبِيِّ مِنَ الْمَمْلَكَةِ مُيَمِّينَ تِلْكَ الْغَابَاتِ الْكَثِيفَةَ الْمُظْلِمَةَ. وَمَا خَرَجُوا مِنَ الْقَصْرِ حَتَّى اسْتَوَلَى الْغَمُّ عَلَى الْوَالِدِ الشَّيْخِ فَصَرَعَهُ، وَانْتَابَتْهُ الْأَمْرَاضُ وَالْعِلَالُ. وَتَلَمَّسَ لَهُ نُطْسُ الْأَطْبَاءِ الْبُرِّءِ وَالشُّفَاءِ، فَلَمْ يَجِدُوا الدَّوَاءَ، وَنَفِدَتْ حِيلَتُهُمْ؛ فَلَمْ يُفِقْ مِنْ صَرَعَتِهِ، حَتَّى أَسْلَمَتْهُ إِلَى مَنِيَّتِهِ.

(١٢) حَيْبَةُ «كَيْكِي»

وَابْتَهَجَتْ «كَيْكِي» لَوَفَاتِهِ، وَقَالَتْ تَحَدُّثُ نَفْسَهَا: «الآنَ يُتَوَجَّ وَوَلَدِي «بَهَارَات»، وَيَخْلُفُ أَبَاهُ عَلَى عَرْشِهِ بِلَا مُزَاحِمٍ وَلَكِنَّ أُمْنِيَّتَهَا خَابَتْ، حِينَ رَأَتْ وَوَلَدَهَا «بَهَارَات» يَأْبَى أَنْ يُتَوَجَّ مِنْ أَخِيهِ، مُصِرًّا عَلَى إِحْضَارِهِ مِنَ الْغَابَةِ لِيُتَوَجَّهَ وَيُعِيدَ إِلَيْهِ حَقَّهُ الْمَسْلُوبَ وَتَوَسَّلَتْ «كَيْكِي» ضَارِعَةً إِلَيْهِ أَلَّا يُحْيِبَ رِجَاءَهَا، وَأَلَّا يُفْسِدَ خُطَّتَهَا وَلَكِنَّهُ أَصَرَ عَلَى رَفْعِ الْغَبْنِ عَنْ أَخِيهِ؛ فَاسْرَعَ بِالرَّحِيلِ إِلَى غَابَةِ «وَنَدَاكَ» حَتَّى لَحِقَ بِالْأَمِيرِ «رَامَا» وَصَاحِبِيهِ الْأَكْرَمِينَ.

وَقَدْ عَجِبَ حِينَ رَأَاهُمْ يَمْرَحُونَ فِي الْغَابَةِ أَصْحَاءَ نَاشِطِينَ، هَازِئِينَ بِالْمَتَاعِ الَّتِي تَعْرِضُهُمْ فِي تِلْكَ الْأَرْجَاءِ، وَقَدْ يَسَّرَ إِخْلَاصَهُمْ كُلَّ صَعْبٍ، وَذَلَّلَ كُلَّ عَقَبَةٍ، وَبَدَتْ الْأَمِيرَةُ «سَيْتَا» فِي رِدَائِهَا الطَّبِيعِيِّ، أَجْمَلَ مِنْهَا فِي ثِيَابِهَا الْفَاحِرَةِ الْمُحَلَّلَةِ بِأَنْفَسِ اللَّالِكِيِّ، وَأَثْمَنَ الْيُوقَاتِ.

(١٣) نَائِبُ الْمَلِكِ

وقد حَزِنَ «راما» لوفاة والده أَشَدَّ الحُزْنِ، ولم يَسْتَمِعْ إلى رجاءِ «بهارات». وَرَفَضَ أَنْ يُنَوِّجَ على «كوسالا» قبل أن يَقْضِيَ في مَنْفَاهِ السَّحِيقِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً، كما أمره والده.

ولَمَّا رَأَى «بهارات» إِصْرَارَ أَخِيهِ، قال له: «إِذْنِ أَحْكَمِ النَّاسِ نَائِبًا عَنْكَ، مُتَرَقِّبًا يَوْمَ عَوْدَتِكَ السَّعِيدِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.»

ثُمَّ وَدَّعَهُمْ مَحْزُونًا، وَكَّرَّ رَاجِعًا إِلَى مَمْلَكَةِ «كوسالا» حَيْثُ أَقَامَ حُكْمَهُ الْعَادِلَ، وَسَاسَ النَّاسَ بِمَا عَرِفَ عَنْهُ مِنَ الرُّشْدِ وَالسَّدَادِ. وَلَمْ يَقْبَلْ أَنْ يُنَوِّجَ، بَلْ آثَرَ أَنْ يَنْوَبَ عَنْهُ فِي حُكْمِ الْبِلَادِ. وَوَضَعَ عَلَى الْعَرْشِ بَعْضَ آثَارِ أَخِيهِ، زَمَرًا لِسُلْطَانِهِ، مُصِرًّا عَلَى أَنْ يَحْكُمَ النَّاسَ بِاسْمِ «راما» حَتَّى يَعُودَ مِنْ مَنْفَاهُ.

وهكذا حَبِطَتْ (فَسَدَتْ) خُطَّةُ «كِيكي»، ولم تُفْزَ بِتَتْوِيحٍ وَليها. عَلَى أَنَّهَا وَخَادِمَهَا الْعَجُوزَ «مَنْتارا» لَمْ تَيَاسَأْ مِنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِمَا، لِاعْتِقَادِهِمَا أَنَّ «راما» لَنْ يَعُودَ مِنْ مَنْفَاهُ سَالِمًا.



أَمَّا الْأُمَرَاءُ الثَّلَاثَةُ، فَقَدْ عَاشُوا هَانِيئِينَ، وَأَوْعَلُوا فِي الْغَابَةِ مُتَنَقِّلِينَ، وَاقْتَاتُوا فَاكِهَةً وَعُشْبًا مِمَّا يَجْمَعُونَ، وَلَحْمَ طَيْرٍ وَحَيَوَانَ مِمَّا يَصْطَادُونَ، فَانْقَضَتْ عَلَيْهِمْ عَشْرُ سِنَوَاتٍ دُونَ أَنْ يَرَوْا فِي تِلْكَ الْغَابَاتِ أَحَدًا مِنَ الشَّيَاطِينِ يُكَدِّرُ عَلَيْهِمْ صَفْوَهُمْ وَابْتِهَاجَهُمْ. وَفِي نَاتِ يَوْمٍ مَرُّوا — فِي أَثْنَاءِ تَجَوَّالِهِمْ — عَلَى صَوْمَعَةٍ صَغِيرَةٍ، يَقْطُنُهَا نَاسِكٌ هَرِمٌ مِنَ الزَّاهِدِينَ، اسْمُهُ «أَجَسْتَاي». فَرَحَّبَ بِهِمْ أَكْرَمَ تَرْحِيْبٍ، وَأَحْسَنَ وَفَادَتَهُمْ. وَدَهَشَ حِينَ أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَقَامُوا زُهَاءَ عَشْرِ سِنَوَاتٍ دُونَ أَنْ يَعْتَرِضَهُمْ شَيْطَانٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ، أَوْ يُهَاجِمَهُمْ عَفْرِيَةٌ مِنَ الْجِنِّ. فَقَالَ لَهُمُ النَّاسِكُ: «لَا أَكْتُمُ أَنْنِي — مُنْذُ لَجَّاتُ إِلَى هَذِهِ الْغَابَةِ، وَتَفَرَّغْتُ لِلْعِبَادَةِ وَالنُّسْكِ — لَمْ أَلْقَ مِنْ شَيْاطِينِهَا الْخُبَيَّاءِ — وَعَلَى رَأْسِهِمْ زَعِيمُهُمْ «رَفَانَا» — أَيُّ أَدَى، وَلَمْ يَعْرِضْ لِي أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ. وَلَكِنِّي — عَلَى هَذَا — طَالَمَا رَأَيْتُهُمْ رَاضِينَ عَلَى مَسَافَةِ قَرِيبَةٍ مِنْ صَوْمَعَتِي.»

(١٥) هدايا النَّاسِكِ

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ قَائِلًا: «عَلَىٰ أَنِّي أَحْسَىٰ أَنْ تَقَعَ عَلَيْكُمْ عَيْنُ أَحَدِهِمْ، فَيَخْطُرَ بِبَالِهِ أَنْ يُسِيءَ إِلَيْكُمْ. وَإِنِّي — وَإِنْ كُنْتُ وَاثِقًا مِنْ شَجَاعَتِكُمْ وَقُدْرَتِكُمْ عَلَىٰ مُصَارَعَةِ الْمَرَدَّةِ وَالْجَبَابِرَةِ — لَا أَمْنُ عَلَيْكُمْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، إِلَّا إِذَا زَوَّدْتُمْ بِمَا لَدَيَّ مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادٍ.»

ثُمَّ أَهْدَىٰ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِمَّا حَوَىٰ مَخْزَنُهُ مِنْ آلَاتِ الْحَرْبِ الْفَتَّاكَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِصِرَاعِ الشَّيَاطِينِ. وَقَدْ فَرِحَ «رَامَا» بِمَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ النَّاسِكُ «أَجَسْتَاي» مِنَ الْعَتَادِ؛ فَقَدْ مَنَحَهُ قَوْسًا وَسِهَامًا مَسْحُورَةً لَا تُحْصَى. كَمَا فَرِحَ «لَكْشْمَانُ» بِالسَّيْفِ الذَّهَبِيِّ الْغِمْدِ الَّذِي أَهْدَاهُ إِلَيْهِ النَّاسِكُ.

وقد قال لهم النَّاسِكُ: «إِنْ لِهَذِهِ الْقَوْسِ، وَذَلِكَ السَّيْفِ، وَتِلْكَ السَّهَامِ، قُوَّةٌ سِحْرِيَّةٌ بَاطِشَةٌ تَخَافُهَا الشَّيَاطِينُ، وَلَا تَجْرُؤُ عَلَى الدُّنُوِّ مِنْ حَامِلِهَا. وَلَعَلَّهَا تَنْفَعُكُمْ — يَوْمًا — إِذَا عَرَّضَ لَكُمْ ضُرًّا، وَتَقِيكُمْ مِنْ أَسْوَأِ الشَّيَاطِينِ كُلِّ شَرٍّ.» فَشَكَرَ الْأَمِيرَانِ لَهُ مَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِمَا مِنْ صَنِيعٍ جَلِيلٍ.

وَلَمْ يَظْفَرْ «رَامَا» بِهَذَا الْكَنْزِ الْعَظِيمِ حَتَّى أَقْسَمَ لِيُطَهِّرَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْخَبِيثَةِ؛ لِيَخْلَصَ النَّاسُ مِنْ كَيْدِهِمْ، وَيُرِيحَهُمْ مِنْ أَذَاهُمْ. وَكَانَ نَابِلًا بَارِعًا، يُجِيدُ الرَّمَايَةَ وَيُصِيبُ الْهَدَفَ. وَكَانَ فِي طُفُولَتِهِ — إِذَا خَرَجَ يَتَرَمَّى (يَرْمِي بِالنَّبْلِ فِي الْأَهْدَافِ وَأُصُولِ الشَّجَرِ) — لَمْ يَسْبِقْهُ سَابِقٌ، وَلَمْ يَلْحَقْهُ لَاحِقٌ.

(١٦) الْوَادِي الْبَهِيحُ

وَقَصَى الْأَمْرَاءُ سَاعَاتٍ سَعِيدَةً فِي ضِيَاغَةِ النَّاسِكِ «أَجَسْتَاي»، ثُمَّ اسْتَأْذَنُوهُ فِي الْخُرُوجِ بَعْدَ أَنْ اسْتَنْصَحُوهُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِمَكَانٍ بَهِيحٍ يَقْضُونَ فِيهِ أَوْقَاتَهُمْ، حَتَّى يَنْتَهِيَ فَصْلُ الشِّتَاءِ الْقَابِلِ، لِأَنَّ الْأَمِيرَةَ «سَيْتَا» قَدْ تَعَبَتْ مِنْ تَجَوُّلِهَا، وَشَعَرَتْ بِحَاجَةٍ إِلَى الرَّاحَةِ. وَقَدْ اعْتَزَمَ «رَامَا» أَنْ يَبْنِيَ لَهَا مَسْكَنًا صَغِيرًا تَأْوِي إِلَيْهِ، وَتَرْتَاخَ فِيهِ.

فَقَالَ النَّاسِكُ: «عَلَيْكُمْ بِوَادِي «بُنْشَقَاتِي»؛ فَهُوَ فِي أَجْمَلِ بُقْعَةٍ فِي الْغَابَةِ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَنَاظِرِ الْبَهِيحَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْجَوِّ الطَّيِّبِ، وَالطَّمَانِينَةِ الشَّامِلَةِ.»

ثُمَّ بَيْنَ لَهُمُ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَّةَ إِلَى ذَلِكَ الْوَادِي الْبَهِيحِ؛ فَشَكَّرُوا لَهُ ثُمَّ وَدَّعُوهُ، وَسَارُوا فِي رِحْلَتِهِمْ مَتَنَبِّلِينَ (مُزَوِّدِينَ بِالنَّبَالِ)، حَتَّى بَلَغُوا وَادِي «بِنَشْقَاتِي»؛ فَوَجَدُوهُ كَمَا وَصَفَهُ النَّاسُ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ الْمَكَانِ الْهَادِي الْجَمِيلِ، وَمَتَّعُوا أَبْصَارَهُمْ بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ جَالِبَاتِ السُّرُورِ وَالْبَهْجَةِ.

وَكَانَتِ الشُّجَيْرَاتُ الْمُزْدَهَرَةُ تَغْطِي أَرْضَهُ، وَالْأَشْجَارُ تَكْتَنِفُهُ (تُحِيطُ بِهِ)، وَالطُّيُورُ الْمُعْرَدَّةُ لَا تَكْفُفُ عَنِ الْغِنَاءِ عَلَى أَغْصَانِهَا الْعَالِيَةِ. وَقَدْ انْتَضَمَهُ نَهْرٌ يَتَحَدَّرُ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي؛ فَيَسْمَعُونَ لِحَرِيرِ مَائِهِ صَوْتًا عَذْبَ الْجَرَسِ، مُعْجَبَ الرَّبِّينِ.

(١٧) بَيْتُ الْوَادِي

فَقَالَتْ «سَيْتَا»: «مَا أَطْيَبَ هَذَا الْمَكَانَ، وَمَا أَجْدَرَنَا أَنْ نَحُلَّ فِيهِ». فَاسْتَصَوَّبَ الْأَمِيرَانِ رَأْيَهَا، وَشَرَعَا فِي بِنَاءِ دَارِهِمُ الْجَدِيدَةَ. وَمَا زَالَا دَائِبِينَ عَلَى تَشْيِيدِهَا حَتَّى أَتَمَّاهَا بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ. وَقَدْ فَرِحَتْ «سَيْتَا» بِمَنْزِلِهَا الْجَدِيدِ، وَحُبِّلَ إِلَيْهَا — لِجَمَالِهِ — أَنَّهُ قَصْرٌ عَظِيمٌ، وَإِنْ كَانَتْ حَيْطَانُهُ مَصْنُوعَةً مِنَ الْأَحْجَارِ، لَا مِنَ الرُّحَامِ، وَأَعْمِدَتُهُ مِنْ قَصَبِ الْغَابِ الْغَلِيظِ، وَسُقُوفُهُ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ.



وهكذا قَضَوْا الشُّتَاءَ وَإِدْعَيْنَ سَعْدَاءَ. وقد أَمِنَ «راما» أذى العَفَارِيثِ وَالشَّيَاطِينِ،
وَأَيَّقَنَ أَنَّهُمْ لَنْ يَجْرُؤُوا عَلَى الدُّنُوءِ مِنْهُ، بعدَ أَنْ تَنَبَّلَ (حَمَلَ النَّبَلَ). وَلَمْ يَعْلَمْ مَا تُحَبِّئُهُ الْيَّامُ
مِنَ كَوَارِثٍ وَأَحْدَاثٍ.

الفصل الثاني

أَسِيرَةُ الشَّيْطَانِ

(١) فاتحةُ الشَّقَاءِ

واحسرتا على «راما» وصاحبته (زوجه) وأخيه، فكأنما انتهت أيام سعادتهم وسلامتهم بانتهاء فصل الشتاء، فلما حلَّ الربيع حلت معه الكوارث والخطوب، فقد فرغ لهم الشيطان «رفانا»، بعد أن تمَّ له الظفر بأعدائه الذين شغلوه عشر سنوات كاملة في حروب طاحنة. فلما استتبَّ له الأمر ذهب لزيارة أخيه الشيطان «مارتشي» ملك هذه الغابة، حيث تعود أن يقضي فصل الربيع — من قبل — في كلِّ عامٍ. وثمة رأى تلك الأسرة الكريمة الهائنة؛ فاعتزم أن ينغص عيشهم، ويكدر صفوهم، ويفرق شملهم، ولكنه خشي أن تصرعه سهام الناسك التي زودهم بها، ولم يجهل الخطر الذي يدهمه إذا عرض لمناواتهم علانية، فأطال تفكيره، وأحكم تدبيره، حتى اهتدى — أجز الأمر — إلى حيلة بارعة.

وكان أول ما خطر ببالي أن يرصد لهم في مكان قريب من وادي «بنشقاتي»؛ بحيث لا تقع أعينهم عليه، أملاً أن يظفر بهم ولو مرة واحدة — عزلاً غير مدججين بأسلحتهم الفتاكة.

(٢) أُمِّيَّةُ الشَّيْطَانِ



وفي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الرَّبِّيعِ الْأُولَى عَنَّتْ (خَطَرْتُ) لِلشَّيْطَانِ فِكْرَةَ خَبِيثَةٍ — وَهُوَ يَرْقُبُ الْأُمْرَاءَ — فَأَمْتَلَأَ قَلْبُهُ سُرُورًا، وَقَالَ لِنَفْسِهِ مُبْتَهَجًا مَحْبُورًا: «يَا لَهُ مِنْ رَأْيِ سَدِيدٍ! إِنْ «سَيْتَا» أَجْمَلَ إِنْسَانٍ فِي الدُّنْيَا — هِيَ بِلَا شَكٍّ أَعَزُّ عَلَى «رَامَا» مِنْ نَفْسِهِ. وَلَنْ أَسْتَطِيعَ تَنْغِيصَ عَيْشِهِ، وَإِذْلالَ كِبْرِيائِهِ وَأَنْفَتِهِ، إِذَا قَتَلْتُهُ. وَلَكِنِّي إِذَا خَطَفْتُهَا مِنْهُ سَلَبْتُهُ أَثْمَنَ كَنْزٍ يَحْرِصُ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ.»

وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْلَمُ أَنَّ بُلُوعَ هَذِهِ الْغَايَةِ عَسِيرٌ — إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا — فَإِنَّ الْأَمِيرِينَ لَا يَتْرُكْنَ «سَيْتَا» لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا يَكْفُرْنَ عَنْ حِرَاسَتِهَا لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى اخْتِطَافِهَا؟

(٣) عِنْدَ «مَارْتِشِي»

فَكَرَّ الشَّيْطَانُ فِي الاسْتِعَانَةِ بِأَخِيهِ «مَارْتِشِي» سُلْطَانَ الْغَابَةِ، لِيُعَاوَنَهُ عَلَى قَضَاءِ مَارِيهِ الْخَبِيثِ. وَاعْتَرَمَ الذَّهَابَ إِلَيْهِ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ، وَهِيَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْهُ، فَاسْتَقَلَّ مَرْكَبَتَهُ الذَّهَبِيَّةَ لِتَحْمَلَهُ إِلَيْهَا فِي أَقْصَى الْغَابَةِ. وَكَانَ يَجْرُهَا جَحْشَانِ مِنْ أَطْرَفِ جُحُوشِ الْجَنِّ، وَأَسْرَعَهُنَّ جَرِيًّا، وَأَوْفَرَهُنَّ نَشَاطًا. لَهُمَا جِسْمَا وَحْشَيْنِ، وَرَأْسَا عَفْرِيَّتَيْنِ، لَوْ رَأَيْتَهُمَا — أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ — لَمَا تَمَالَكْتَ مِنَ الضَّحِكِ. وَهُمَا يَطِيرَانِ بِالْمَرْكَبَةِ فِي الْجَوِّ، كَمَا يَجْرِيَانِ بِهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَلْحَقُ بِهِمَا فِي طَيْرَانِهِمَا، وَلَا يُدْرِكُهُمَا فِي جَرِيَانِهِمَا، كَائِنُ كَانَ، مِنْ طَائِرٍ وَحَيَوَانٍ.

وَلَمَّا بَلَغَ الشَّيْطَانُ أَخَاهُ وَجَدَهُ جَالِسًا أَمَامَ دَارِهِ يَسْتَزِيدُ مِنَ الدَّرْسِ وَالْقِرَاءَةِ فِي فُنُونِ السَّحْرِ، فَصَاحَ فِيهِ قَائِلًا: «تَحِيَّتِي إِلَيْكَ يَا مَارْتِشِي» وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَقَامَ حَدَّثَهُ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِمَطْوِيِّ سِرِّهِ.

(٤) جِوَارُ الشَّيْطَانَيْنِ



فَأَجَابَهُ «مَارْتِشِي» مَدْعُورًا: «حَذَارِ — يَا أَحْيِي — أَنْ تَعْمِدَ بِالْأَدْنَى إِلَى أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْإِنْسَانِيِّ؛ فَإِنَّهُمْ — مِنْ إِيْمَانِهِمْ وَحُسْنِ يَقِينِهِمْ — فِي أَمَانٍ مِنْ كَيْدِنَا، مَعَشَرَ الشَّيَاطِينِ. وَقَدْ تَرَكْنَاهُمْ — مِنْذُ حَلُّوا هَذِهِ الْغَابَةَ — دُونَ أَنْ أَمَسَّهُمْ بِسُوءٍ؛ لِأَنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ كُلَّ مَنْ يُحَاوِلُ إِيْذَاءَهُمْ، إِنَّمَا يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ، وَأَنَّ هَذَا الْأَمِيرَ الْمُخْلِصَ لَمْ يُقَسِّمْ لَهُ

الْمَجِيءُ — مُنْذُ سَنَوَاتٍ — إِلَى هَذِهِ الْغَابَةِ، إِلَّا لِعَرَضٍ وَاحِدٍ: هُوَ تَشْتِيْتُنَا وَالْقَضَاءُ عَلَيْنَا أَجْمَعِينَ، وَتَخْلِيصُ الْأَنْاسِيِّ مِنْ كَيْدِ الْأَبَالِسَةِ وَحَبَائِلِ الشَّيَاطِينِ. وَقَدْ وَقَفَهُ حَظُّهُ السَّعِيدُ إِلَى التَّعَرُّفِ بِذَلِكَ الْحَكِيمِ الرَّشِيدِ؛ فَرَوَدُهُ بِأَفْتِكِ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي لَا تَبْقِي عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِنَا وَلَا تَذُرُ، وَلَا تَنْفَعُ مَعَهَا شَجَاعَةٌ وَلَا حَذَرٌ. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ نُخْلِيَهُ وَشَأْنَهُ، وَأَنْ نَبْتَعِدَ عَمَّا يُوجِبُ لَنَا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ، وَنَقْنَعُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالنَّجَاةِ مِنْهُ وَالسَّلَامَةِ. فَنَحْنُ — كَمَا تَعْلَمُ — لَا سُلْطَانَ لَنَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْاسِيِّ، إِلَّا عَلَى ضَعْفَاءِ الْقُلُوبِ الْهَيَّابِينَ، وَدَوِي الْعَزَائِمِ الْخَائِرَةِ الْمَتَرَدِّدِينَ.»

فَأَجَابَهُ «رَقَانَا»: «لَسْتُ أَجْهَلُ شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ، وَلَمْ تَبْلُغْ بِي الْحِمَاقَةَ وَخَطْلُ الرَّأْيِ أَنْ أُحَارِبَ ذَلِكَ الشُّجَاعَ الْبَاطِشَ الْغَلَابِ. وَلَكِنِّي فَكَّرْتُ فِي حُطَّةٍ — إِذَا نَجَحْتَ — هَانَتْ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ، وَتَمَنَّى — مِنْ أَجْلِهَا — الْمَوْتَ، دُونَ أَنْ نَزَّجَ بِنَفْسَيْنَا وَأَعَوَانِنَا فِي مُحَارَبَتِهِ.» ثُمَّ أَفْضَى الشَّيْطَانُ إِلَى أُخِيهِ بِحُطَّتِهِ الْبَارِعَةِ، الَّتِي دَبَّرَهَا لِيَحْطَفَ «سَيْتَا» وَيَسْجُنْهَا فِي قَصْرِهِ الْفَحْمِ، فِي جَزِيرَةِ «لُنْكَا» النَّائِيَةِ، وَخَتَمَ كَلَامَهُ قَائِلًا: «وَمَتَى حَلَّتْ «سَيْتَا» تِلْكَ الْجَزِيرَةَ اسْتَحَالَ عَلَى صَاحِبِهَا (رُوجِهَا) أَنْ يُعْبِرَ الْبِحَارَ الْمَائِجَةَ الَّتِي تَقْصِلُ جَزِيرَةَ «لُنْكَا» عَنِ دُنْيَا الْإِدْمِيِّينَ.»

(٥) وَعِيدُ «رَقَانَا»

فَقَالَ الشَّيْطَانُ «مَارْتِشِي»: «لَا أَزَالُ عَلَى رَأْيِي مُصْرًّا.» وَطَالَ الْحَوَارُ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ، فَلَجَأَ «رَقَانَا» إِلَى إِغْرَاءِ أُخِيهِ لِيُعَاوَنَهُ؛ فَوَعَدَهُ بِأَنْ يَمْنَحَهُ نِصْفَ مُلْكِهِ فِي جَزِيرَةِ «لُنْكَا» إِذَا سَاعَدَهُ فِي إِنْجَازِ حُطَّتِهِ، وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ. وَلَكِنَّ «مَارْتِشِي» لَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْ رَأْيِهِ قَبْدَ أَنْمَلَةٍ (لَمْ يَنْزَحِرْ عَنْهُ مِقْدَارَ رَأْسِ الْإِصْبَعِ). وَطَالَ الْجَدَلُ بَيْنَ الْأَخْوَيْنِ، وَتَمَلَّكَ الْيَأْسُ «رَقَانَا»؛ فَشَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى أُخِيهِ، مُتَوَعِّدًا إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ، إِذَا أَصَرَ عَلَى عِنَادِهِ.

فَلَمَّا رَأَى «مَارْتِشِي» أَنَّهُ يَسْتَعْجِلُ هَلَاكَهُ — إِذَا خَالَفَ أَخَاهُ — اضْطَرَّهُ الْخَوْفُ إِلَى الْإِنْدِعَانِ. ثُمَّ جَلَسَا يَتَشَاوَرَانِ فِي الْحُطَّةِ الَّتِي يَسْلُكَانِهَا. وَتَمَادَى (طَالَ) بَيْنَهُمَا الْحَدِيثُ حَتَّى تَنَفَّسَ الصُّبْحُ؛ فَامْتَطَيَا (رَكِبَا) مَرْكَبَةَ «رَقَانَا»، وَقَدْ أَعَدَّا حُطَّتَهُمَا الْخَبِيئَةَ أَحْكَمَ إِعْدَادٍ.

(٦) الْأُسْرَةُ السَّعِيدَةُ

أَمَّا الْأُمَرَاءُ الْمُنْفِيُونَ، فَقَدْ شَعَرُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالسَّعَادَةِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَدْرُوا مَا يَحْبُوهُ لَهُمْ الْقَدْرُ مِنْ نَذْرِ الشَّرِّ، فَاسْتَقْبَلُوا صَبَاحَ الرَّبِيعِ مُبْتَهَجِينَ بِجَمَالِهِ، وَأَنْجَرُوا أَعْمَالَهُمْ قُبَيْلَ الظُّهْرِ. ثُمَّ حَرَجَ «لَكْشْمَانُ» لِيَلْتَمِسَ لِلْأَمِيرِينَ فَائِهُنَّ طَارِجَةً، وَجَلَسَ «رَامَا» وَ«سَيْتَا» تَحْتَ شَجَرَةٍ فَيْنَانَةٍ، يَنْفِيَانِ ظِلَّهَا، وَيُرْوِحَانِ عَنِ نَفْسَيْهِمَا نَحْتَهَا. وَابْتَهَجَتْ «سَيْتَا» وَتَمَلَّتْ الْوُرُودَ (أَطَالَتْ الْأَسْتِمْتَاعَ مِنْهَا)، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهَا حُبُورًا بِمَا يَكْتَنِفُهَا (بِمَا يُحِيطُ بِهَا) مِنْ أَزْهَارِ الرَّبِيعِ الْمُمَوَّرَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَجَلَسَ «رَامَا» - إِلَى جَوَارِهَا - يُفَكِّرُ فِي وَفَائِهَا وَإِحْلَاصِهَا وَشَجَاعَتِهَا الَّتِي حَفَرَتْهَا (سَاقَتْهَا وَدَفَعَتْهَا) إِلَى مُشَارِكَتِهِ فِي مَنَافَاهُ، غَيْرِ مُبَالِيَةٍ بِمَا تَتَعَرَّضُ لَهُ - فِي سَبِيلِهِ - مِنْ أخطَارٍ وَأَهْوَالٍ، وَيُودُّ لَوْ أُتِيحَتْ لَهُ فُرْصَةٌ تُمَكِّنُهُ مِنْ مُكَافَأَتِهَا عَلَى مَا أَسْلَفَتْ إِلَيْهِ مِنْ صَنِيعٍ (مَا قَدَّمَتْ لَهُ مِنْ مَعْرُوفٍ).

(٧) الظُّبْيَةُ الصَّغِيرَةُ

وَإِنَّهُ لَغَارِقٌ فِي تَأْمُلَاتِهِ، مُسْتَسْلِمٌ لِنَفْكَرِهِ، إِذَا بِصَيْحَةٍ فَرِحَةٍ تَنَبَّعَتْ مِنْ فَمِ «سَيْتَا» وَهِيَ تُنَادِيهِ مَسْرُورَةً: «أَلَا تَرَى هَذِهِ الظُّبْيَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَفْفِرُ عَلَى مَدِّ الْبَصْرِ، وَتَجْرِي عَلَى مَرْمَى النَّظَرِ؟ هَا هِيَ ذِي تَدْنُو مِنَّا، فَمَا أَجْمَلَهَا ظُبْيَةً، وَمَا أَظْرَفَ شَعْرَهَا الَّذِي يَلْمَعُ كَمَا يَلْمَعُ الذَّهَبُ الْخَالِصُ، أَلَا لَيْتَهَا لِي!»

فَسَأَلَهَا «رَامَا» بِاسْمًا: «وَمَاذَا كُنْتَ بِهَا صَانِعَةً؟»

فَأَجَابَتْهُ فِي لَهْفَةٍ الْمَشْغُوفِ: «إِذَنْ لَجَعَلْتُهَا أُنَيْسَةً وَحَدِيثِي، وَمَصْدَرَ سَلَوْتِي، وَاتَّخَذْتُهَا لِعَيْبِي لِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِي، وَاحْتَفِظْتُ بِهَا بَعْدَ عَوْدَتِي، مَتَى قَسِمَ لِي الرَّجُوعُ إِلَى مَمْلَكَتِي؛ فَكَانَتْ أَجْمَلًا مَا أَحْتَفِظُ بِهِ مِنْ ذِكْرِيَاتِي طُولَ أَيَّامِ حَيَاتِي.»

(٨) فِي أَثَرِ الظُّبْيَةِ

فَقَالَ «رَامَا»: «مَا أَهْوَنَ مَا تَطْلُبِينَ!» ثُمَّ أَسْرَعَ يَبْغِي اللَّحَاقَ بِالظُّبْيَةِ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا اخْتَفَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ، فَصَاحَتْ «سَيْتَا» مَحْزُونَةً لِقَوَاتِ الْفُرْصَةِ، وَلَكِنَّ الظُّبْيَةَ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ

ظَهَرَتْ لِلْعِيَانِ — بَعْدَ اخْتِفَائِهَا — وَجَرَتْ مُوْغَلَةً فِي الْغَابَةِ، فَقَالَ: «كُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنِي سَأَقْتَنِيصُ لِكَ هَذِهِ الطَّبِيَّةِ، وَأَنَّهَا لَنْ تُفْلِتَ مِنْ يَدَيَّ!»



ثُمَّ نَادَى أَخَاهُ لِيَحْرُسَ الْأَمِيرَةَ، وَأَوْصَاهُ بِأَلَّا يُفَارِقَهَا — لِحِظَةٍ وَاحِدَةً — لِأَيِّ دَاعٍ كَانَ، فَوَعَدَهُ بِذَلِكَ، وَجَلَسَ إِلَى جِوَارِ «سَيْتَا» يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ أَخِيهِ. وَجَرَى أَخُوهُ فِي أَثَرِ الطَّبِيَّةِ حَامِلًا قَوْسَهُ وَسَهَامَهُ. وَلَكِنَّ الطَّبِيَّةَ حَيْرَتْهُ وَأَتْعَبَتْهُ، وَغَرَّرَتْ بِهِ وَخَدَعَتْهُ؛ دَنَتْ مِنْهُ فَأَطْمَعَتْهُ، ثُمَّ اخْتَفَتْ عَنْ نَاضِرِهِ فَأَيَّاسَتْهُ، ثُمَّ تَبَدَّتْ — مَرَّةً أُخْرَى — فَعَاوَدَ سَعْيُهُ، وَضَاعَفَ جَرِيَّهُ.

وَمَا زَالَ يَنْجَدُّ أَمْلُهُ فِي اقْتِرَابِهَا، وَيُعَاوِدُهُ الْيَأْسُ مِنَ اللَّحَاقِ بِهَا، حَتَّى أَجْهَدَهُ الْحَرُّ، وَأَتَعَبَهُ الْكُرُّ.

وكانَ كُلُّمَا دَبَّ اليَأْسُ إلى قَلْبِهِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُثْنِيَهُ عَن عَزْمِهِ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: «هَذِهِ أَوَّلُ رَغْبَةٍ تَتَمَنَّأُهَا «سَيِّتًا»، مُنْذُ حَلَلْنَا هَذِهِ الغَابَةَ وَتَخَذْنَاهَا وَطَنًا لَنَا. وَليْسَ مِنَ المَرْوَةِ أَنْ أُحْيِبَّ رَجَاءَهَا مَتَى كَانَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أُحَقِّقَهُ.»

وَلَكِنَّ الطَّبِيَّةَ تَمَادَتْ فِي رَوَاعِيهَا؛ فَدَبَّ إلى نَفْسِهِ القَلْقُ، وَأَحْسَسَ أَنَّ فِي الأَمْرِ مَكِيدَةً، دَبَّرَهَا بَعْضُ شَيَاطِينِ الغَابَةِ؛ لِإِبْعَادِهِ عَن «سَيِّتًا». وَلَكِنَّهُ اطْمَأَنَّ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ أَخَاهُ يَرَعَاهَا مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ، وَيَقِيهَا شُرُورَ الأَبَالِسَةِ وَحَبَائِلِ الشَّيَاطِينِ. وَحِينَئِذٍ أَبْصَرَ الطَّبِيَّةَ عَلَى قَيْدِ خُطُواتِ مَنْهُ، فَلَمَّا هَمَّ بِالْقَبْضِ عَلَيْهَا نَفَرَتْ — عَلَى عَادَتِهَا — مُبْتَعِدَةً عَنْهُ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ هَذَا الحَيَوَانَ مُتَعَبٌ مُشَاكِسٌ، وَلَنْ يَصْلِحَ لِتَسْلِيَةِ «سَيِّتًا» إِذَا قَنَصْتَهُ. وَلَعَلَّ جِلْدَهُ البَرَّاقُ أَنْفَعُ لَهَا مِنْهُ وَأَجْمَلُ!»

وَتَمَّةً أَمْسَكَ بِقَوْسِهِ، وَأَطْلَقَ مِنْهَا سَهْمًا مَسْحُورًا، أَصَابَ الطَّبِيَّةَ إِصَابَةً قَاتِلَةً؛ فَهَوَتْ إِلَى الأَرْضِ مُجَدَّلَةً فِي دِمَائِهَا.
وَاقْتَرَبَ مِنْهَا الأَمِيرُ، وَقَدْ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُدْ يَدَانِهَا (يَقْتَرِبُ مِنْهَا) حَتَّى رَأَى مَا لَمْ يَحْطُرْ لَهُ عَلَى بَالٍ.

(٩) مَصْرَعُ «مَارْتِشِي»

فَقَدْ عَادَتِ الطَّبِيَّةُ — بَعْدَ أَنْ أَرْدَاهَا سَهْمُ الأَمِيرِ — إِلَى أَصْلِهَا؛ فَإِذَا الشَّيْطَانُ «مَارْتِشِي» وَهُوَ يَحْتَضِرُ، وَيُعَانِي الأَمَّ المَوْتِ، وَقَدْ بَدَأَ جُرْحُهُ القَاتِلُ فِي جَنْبِهِ. وَكَانَ قَدْ حَوَّلَ نَفْسَهُ — بِمَا أُوتِيَهُ مِنْ فُنُونِ سِحْرِهِ — إِلَى صُورَةِ طَبِيَّةٍ جَمِيلَةٍ، أَمْلًا أَنْ يُعْرِى الأَمِيرِينَ بِاقْتِفَاءِ أَثَرِهِ، وَاتِّبَاعِ عَدُوِّهِ (جَرِيهِ)، لِئُبْعِدَهُمَا عَن «سَيِّتًا»، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الأَهْلَاكِ غَضِبَ وَاشْتَدَّ حَقْدُهُ عَلَى قَاتِلِهِ، فَصَرَخَ مُحَاكِيًا صَوْتَ «رَامَا»؛ لِيوْهَمَ مَنْ يَسْمَعُهُ أَنَّ «رَامَا» يَصِيحُ طَالِبًا مِنْ أَخِيهِ العَوْتُ وَالنَّجْدَةَ. ثُمَّ فَاضَتْ رُوحُهُ الحَبِيئَةُ ذَاهِبَةً إِلَى الجَّحِيمِ.

(١٠) أَثْرُ الصَّيْحَةِ

وَقَدْ حَدَّثَ مَا تَوَقَّعَهُ «مَارْتِشِي» وَهُوَ يَحْتَضِرُ، فَقَدْ دَوَّتْ فِي الغَابَةِ عَوْلَتُهُ (صَرَخَتُهُ)، وَتَرَدَّدَتْ — فِي جَنَابَتِهَا — صَيْحَتُهُ، حَتَّى بَلَغَتْ وَادِيَّ «بِنَشْفَاتِي» حَيْثُ أَقَامَتْ «سَيِّتًا»

و«لَكْشَمَانُ» يَتَرَقَّبَانِ عُدَّةَ «رَامَا»، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ اسْتِعَاثَةَ «رَامَا» نَظَرَتْ إِلَى أَخِيهِ مَفْرَعَةً، وَصَاحَتْ فِيهِ مُرَوَّعَةً: «إِنَّهُ «رَامَا» يَدْهَمُهُ الْخَطَرُ؛ فَيَسْتَعِيثُ بِكَ لِتُنْقِذَهُ.»
وَلَكِنَّ «لَكْشَمَانَ» لَمْ تَجْزْ عَلَيْهِ حِيلَةَ الشَّيْطَانِ، فَهَزَّ كَتْفَيْهِ، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ مُتَأَلِّمًا: «كَلَّا، لَا سَبِيلَ إِلَى مُفَارَقَتِكَ؛ فَقَدْ عَاهَدْتُ أَخِي عَلَى أَنْ أَبْقَى إِلَى جَانِبِكَ حَتَّى يَعُودَ.»

فَهْتَفَتْ «سَيْتَا» بَأَكِيَّةٍ مُؤَلِّوَةً، وَصَاحَتْ فِيهِ صَارِخَةً مُعْوَلَةً: «إِنَّ الْأَمِيرَ فِي خَطَرٍ، وَلَيْسَ لِحَيَاتِي قِيمَةٌ بَعْدَ أَنْ يَمُوتَ، فَالْبِدَارَ إِلَيْهِ، وَأَسْرِعْ إِلَى إِنْقَازِهِ قَبْلَ فَوَاتِ الْوَقْتِ!»



فَأَجَابَهَا مُتَلَطِّفًا: «سَكْنِي مِنْ خَوْفِكَ، وَلَا يَسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْكَ الْجَزَعُ؛ فَإِنَّ «رَامَا» — غَلَابَ الْفُرْسَانَ، وَقَاهَرَ الشُّجْعَانَ — لَا يَزْهَبُ الْحِمَامَ، وَلَا يَخَافُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ، وَلَا يَهَابُ كَائِنًا كَانَ، وَلَا يَطْلُبُ النَّجْدَةَ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ. وَفِي جَعْبَتِهِ — مِنْ السَّهَامِ — مَا يَكْفِي

لِإِبَادَةِ كُلِّ مَا تَحْوِيهِ الدُّنْيَا مِنْ مَارِدٍ وَجَانٍّ، وَعَفْرِيَّتِ وَشَيْطَانٍ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصَّرْحَةُ —
الَّتِي سَمِعْتَهَا — إِلَّا صَرْحَةُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، يُحَاوِلُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا، وَيَأْمُلُ أَنْ يَسْتَنْدِرَ جَنِي
لَاتِّبَاعِ خَطْوَاتِهِ؛ لَعَلَّهُ يَظْفَرُ بِإِيْدَائِكَ.»

فَاشْتَدَّ جَزَعُ «سَيِّتَا» عَلَى زَوْجِهَا الْأَمِيرِ، وَلَمْ تَقْتَنِعْ بِمَا سَمِعَتْ، بَلْ حَسَبَتْ أَخَاهُ
خَائِفًا يَتَلَمَّسُ وَسِيلَةَ لِلْفِرَارِ مِنْ مُسَاعَدَتِهِ؛ فَصَاحَتْ فِيهِ مُتَحَسِّرَةً، وَدُمِعُهَا مُتَحَدِّرَةً،
وَقَالَتْ وَهِيَ تَفْرُكُ يَدَيْهَا مِنَ الْحَنْقِ وَالْفَرْعِ، وَيَتَهَدَّجُ صَوْتُهَا مِنَ الْغَيْظِ وَالْجَزَعِ: «مَا
أَرَاكَ إِلَّا خَائِفًا يَتَلَمَّسُ الْمَعَاذِيرَ، لِيَنْجُوَ مِنَ اللَّوْمِ وَالتَّعْذِيرِ.»

فَتَأَلَّمَ الْأَمِيرُ حِينَ سَمِعَ هَذِهِ التُّهْمَةَ، وَقَالَ لِلْأَمِيرَةِ مُتَأَسِّفًا: «فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ — يَا
أُخْتَاهُ — وَإِنْ كَانَ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بَأَنَّ فِي تَرْكِي إِيَّاكَ ضَرَرًا كَبِيرًا، وَشَرًّا مُسْتَطِيرًا، وَنَكْبَاتٍ
تَتَلَوُّهَا نَكْبَاتٌ، وَحَسَرَاتٍ تَتَّبِعُهَا حَسَرَاتٌ. وَلَكِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ أَلَّا تَتْرَكِي هَذَا الْمَأْوَى لِأَيِّ
سَبَبٍ؛ جَلٍّ أَوْ حَقَرٍ.»

ثُمَّ أَسْرَعَ مِيمِمًا (قَاصِدًا) الْمَكَانَ الْمَجْهُولَ الَّذِي خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ انْبَعَثَتْ
مِنْهُ.

(١١) الضَّيْفُ الْهَرَمُ

وَشَعَرَتْ «سَيِّتَا» — بَعْدَ ذَهَابِهِ — بِمَزِيحٍ مِنَ السُّرُورِ وَالْخَوْفِ؛ فَقَدْ فَرِحَتْ لِإِسْرَاعِ الْأَمِيرِ
إِلَى نَجْدَةِ أَخِيهِ. أَمَّا خَوْفُهَا فَلَمْ يَكُنْ مَصْدَرُهُ جَزَعُهَا مِنْ بَقَائِهَا وَجِيْدَةً، بَلْ حَذَرًا عَلَى
صَاحِبِهَا (زَوْجِهَا) أَنْ يُصَابَ بِسُوءٍ، قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ نَجْدَةُ أَخِيهِ.

وَجَلَسَتْ مَحْزُونَةً تَلُومُ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الرَّغْبَةِ الطَّائِشَةِ الَّتِي حَبَّبَتْ إِلَيْهَا أَنْ تُغْرِي
زَوْجَهَا بِصَيْدِ الطَّبِيَّةِ النَّافِرَةِ فَتُعَرِّضَ حَيَاتَهُ لِلْهَلَاكِ. وَمَرَّتْ عَلَيْهَا اللَّحْظَاتُ بَطِيئَةً كَأَنَّهَا
سَاعَاتٌ، وَهِيَ مُضْطَجِعَةٌ بِجِوَارِ دَارِهَا تَرْقُبُ كُلَّ حَرَكَةٍ بَيْنَ الشَّجَرِ، وَتُصْغِي بِانْتِبَاهٍ
وَحَذَرٍ، لَعَلَّهَا تَسْمَعُ وَقَعَ أَقْدَامِ الْأَمِيرِينَ.

وَأَنَّهَا لِكَذَلِكَ، إِذْ طَرَقَ سَمْعُهَا وَقَعَ أَقْدَامِ تَقْتَرِبُ مِنْهَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ؛ فَفَقَرَتْ لِتَرَى
زَوْجَهَا الْقَادِمَ. وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِخَبِيَّةٍ أَمَلَهَا حِينَ رَأَتْ أَمَامَهَا — بَدَلًا مِنَ الْأَمِيرِينَ —
نَاسِكًا هَرِمًا ضَعِيفًا، قَدْ انْحَنَى ظَهْرُهُ، وَتَقَوَّسَتْ قَامَتُهُ، وَتَقَارَبَتْ خَطْوَتُهُ، وَاضْطَرَبَتْ
مَشِيئَتُهُ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْهَا حَيَّاهَا، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ تَحِيَّتَهُ فِي لُطْفٍ وَأَدَبٍ. وَلَكِنَّهَا شَعَرَتْ بِانْقِبَاضٍ حِينَ سَمِعَتْهُ يَقُولُ: «أَتَأْتِنِي لِي — يَا سَيِّدَتِي — أَنْ أُسْتَرِيحَ قَلِيلًا فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْجَمِيلَةِ؛ فَإِنَّ جِسْمِي مُتْعَبٌ، وَقَدَمَيَّ مُوجَعَتَانِ؟»
 فَقَالَتْ لَهُ مُتَرْفِقَةً بِهِ: «سَأَحْضُرُ لَكَ مَاءً لِقَدَمَيْكَ، وَفَاجِهَةً تُنْعِشُ بِهَا نَفْسَكَ.»
 فَشَكَرَ لَهَا الشَّيْخُ الْهَرَمُ، وَقَالَ وَهُوَ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَيْهَا: «مَنْ تَكُونِينَ أَيُّهَا الْفَتَاةُ؟
 وَكَيْفَ حَلَلْتِ هَذِهِ الْغَابَةَ الْمُقْفِرَةَ، مَعَ أَنَّ مَمْلُوكَ جَدِيرٌ بِسُكْنَى الْقُصُورِ؟»
 فَدَهَشَتْ مِنْ جُرْأَةِ هَذَا النَّاسِكِ، وَلَكِنَّهَا أَخْفَتْ دَهْشَتَهَا عَنْهُ ثَمَّ حَدَّثَتْهُ بِحَدِيثِهَا كُلِّهِ.

(١٢) جِوَارُ الشَّيْطَانِ

وَلَمَّا بَلَغَتْ قِصَّتَهَا مَعَ الظَّبْيَةِ ضَحِكَ الشَّيْخُ. ثَمَّ وَقَفَ أَمَامَهَا، وَقَدْ اغْتَدَلَتْ قَامَتَهُ بَعْدَ انْحِنَائِهَا، وَاسْتَقَامَ ظَهْرُهُ بَعْدَ تَقْوُسِهِ، وَتَطَلَّقَ وَجْهُهُ بَعْدَ تَعَبُّسِهِ، وَتَحَوَّلَ الشَّيْخُ الْهَرَمُ، فَأَصْبَحَ شَابًّا قَوِيًّا. وَتَبَدَّلَتْ ثِيَابُ الرَّاهِدِ فَصَارَتْ ثِيَابًا مُلُوكِيَّةً فَاجِرَةً، وَتَجَلَّى أَمَامَهَا «رُقَانًا» عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَعَرَفَتْ — حِينَئِذٍ — جَلِيَّةَ أَمْرِهِ. وَاقْتَرَبَ مِنْهَا مُنَوِّدًا مُتَحَبِّبًا، وَقَالَ لَهَا مُسْتَعْطَفًا مُرْغَبًا: «إِنِّي «رُقَانًا» مَلِكُ جَزِيرَةِ «لُنْكَا»، أَجْمَلُ جَزِيرَةٍ فِي عَالَمِكُمُ الْإِنْسِي، وَعَالَمِنَا الْجِنِّي. وَقَدْ جِئْتُ أَدْعُوكَ لِزِيَارَةِ قَصْرِ الْمُلُوكِيِّ حَيْثُ تَقْضِينَ أَسْعَدَ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، مَلِكَةً عَلَى عَفَارِيثِ الدُّنْيَا وَشَيَاطِينِ الْعَالَمِ، تَنْهَيْنَ فِيهِمْ وَتَأْمُرِينَ.»



فصاحت فيه دون أن يتطرق الفرع إلى نفسها: «ألا تعلم أنني زوج «راما» قاهر الشُّجَعانِ، وسَيِّدِ الْفُرْسَانِ؟»
 فقال لها الشَّيْطَانُ: «كُوني على ثِقَةٍ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ؛ فَقَدْ قَتَلَهُ أَخِي «مَارْتِي» الَّذِي لَاحَ لِأَعْيُنِكُمْ — فِي صُورَةِ ظَبْيَةٍ — لِئُبْعِدَ «راما». وقد نَجَحَتْ حِيلَتُهُ، وَظَفَرَ بِأَهْلَاكِهِ.»

(١٣) فِي فُضَاءِ الْجَوِّ

فَوَقَفَتْ «سَيِّتَا» حَائِرَةً مُضْطَرِبَةً، بَيْنَ مُصَدِّقَةٍ وَمُكَدِّبَةٍ. وَحَدَّقَتْ فِيهِ، فَفَرَّاتٌ عَلَى سِيْمَاهُ آيَاتِ الْخُسَّةِ وَالشَّمَاتَةِ، فَقَالَتْ لَهُ فِي كِبْرِيَاءٍ وَثِقَةٍ: «إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ قَدْ قُتِلَ، فَإِنِّي بَاقِيَةٌ عَلَى الْوَفَاءِ لَهُ، مُخْلِصَةٌ — لِعَهْدِهِ — مَا حَيَّيْتُ. وَلَنْ يَخِيفَ أَلْمِي لَهُ وَحُزْنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ.»



فقال الشيطانُ: «لَنْ أَعُودَ بِعَعْرِكَ!» ثُمَّ نادَى مَرْكَبَتَهُ الْمُلُوكِيَّةَ، فَحَضَرَتْ. وحاوَلَتْ «سَيْتَا» أَنْ تُثْنِيَهُ (تَرْجِعَهُ) عَنْ عَزْمِهِ — بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَحِيلَةٍ — فَلَمْ تَجِدْ مِنْهُ سَمِيعًا. ودفعها إلى مَرْكَبَتِهِ، وما كادَ، حَتَّى حَلَقَتْ بِهِمَا فِي الْجَوِّ. فقالت «سَيْتَا» هازئَةً: «لَقَدْ خَطَفْتَنِي، وَحَسَبْتَ أَنَّكَ قَدْ ظَفَرْتَ بِي وَغَلَبْتَنِي. وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ كَفِيلَةٌ أَنْ تُقْنِعَكَ بِأَنَّي سَأَظُلُّ حَافِظَةً لِعَهْدِي، بَرَّةً بِوَعْدِي، حَتَّى أَمُوتَ.» فكانَ جَوَابُ الشَّيْطَانِ عَلَى ذَلِكَ أَنْ اسْتَحَثَّ جَحْشِيَهُ لِيُسْرِعَا فِي طَيْرَانِهِمَا فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْجَوِّ.

(١٤) مَلِكِ النُّسُورِ

وَإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُ رَأَى شَبَحًا هَائِلًا يُلَاحِظُهُ فِي خُطْوَتِهِ، وَيَقْتَرِبُ مِنْ مَرْكَبَتِهِ، فَحَشِيَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ أَعْدَائِهِ يَجِدُّ فِي أَنْرِهِ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَأَكَّدَ لَهُ صِدْقُ مَا حَسَبَهُ، إِذْ رَأَى «جَاتَايُو» مَلِكِ النُّسُورِ — وَهُمْ أَعْدَاءُ لِحِنْسِهِ الْأَدَاءِ، مُنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ — وَسَمِعَهُ يَصْرُخُ

فِيهِ قَائِلًا: «مَكَانَكَ — أَيُّهَا الشَّيْطَانُ — وَخَبْرُنِي: إِلَى أَيْنَ تَقْصِدُ؟ وَلِمَاذَا تَحْمِلَ هَذِهِ الْأَسِيرَةَ التَّاعِسَةَ؟»

فَصَاحَتْ «سَيْتَا» مُسْتَنْجِدَةً: «الْعُوْثَ يَا سَيِّدَ النَّسُورِ، النَّجْدَةَ يَا مَلِكَ الطُّيُورِ! أَدْرِكِ الْأَمِيرَةَ «سَيْتَا» زَوْجَةَ «رَامَا» الْأَمِيرِ الْعَظِيمِ، وَخَلِّصْهَا مِنْ كَيْدِ هَذَا الْبَاغِي الْأَثِيمِ.»

فَصَاحَ النَّسْرُ: «أَطْلُقِ سَرَاحَ هَذِهِ الْمُسْكِينَةِ.»

فَأَجَابَهُ الشَّيْطَانُ مُسْتَهْزِئًا: «عُدْ مِنْ حَيْثُ أَنْتِ، وَأَفْسَحْ لِي طَرِيقِي، وَلَا تَدْخُلْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ. اذْهَبْ وَإِلَّا قَتَلْتُكَ أَيُّهَا الْعَبِيُّ الْجَرِيءُ.»

فَهَجَمَ النَّسْرُ يُحَاوِلُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ، وَأَنْقَضَ عَلَيْهِ بِكُلِّ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُوَّةٍ، فَأَسْرَعَ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِ، فَطَعَنَهُ فِي جَنْبِهِ بِخَنْجَرِهِ طَعْنَةً قَاتِلَةً، فَصَاحَ النَّسْرُ، وَهُوَ يُعَانِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ: «مَعْدِرَةٌ أَيَّتُهَا الْأَمِيرَةُ، فَقَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُسَاعَدَتِكَ. وَلَسْتُ أَمْلِكُ الْآنَ شَيْئًا غَيْرَ الدَّعَاوَاتِ الصَّالِحَاتِ.» ثُمَّ هَوَى إِلَى الْأَرْضِ مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ، وَهُوَ يَبْتَئِنُّ مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ وَالْيَأْسِ، وَقَدْ سَخَرَ بِهِ عَدُوَّهُ، وَضَحِكَ مِنَ النَّسْرِ الْمَقْهُورِ، ضَحْكَةً الظَّافِرِ الْمَنْصُورِ.

(١٥) عَلَى جَبَلِ الْقُرُودِ

وَاسْتَأْنَفَ الْجَحْشَانَ طَيْرَانَهُمَا، وَرَاحَا يَنْهَبَانِ الْجَوَّ نَهَبًا، وَيَطْوِيَانِ الْفَضَاءَ طَيًّا، وَهُمَا قَاصِدَانِ إِلَى جَزِيرَةِ «لُنْكَا»، حَتَّى اجْتَازَا غَابَةَ الشَّيَاطِينِ كُلِّهَا؛ أَشْجَارَهَا وَعُذْرَانَهَا، هَضْبَاتَهَا وَوُدْيَانَهَا. وَمَا زَالَا يَجِدَانِ فِي طَيْرَانِهِمَا حَتَّى بَلَّغَا جَبَلَ الْقُرُودِ، ثُمَّ وَقَفَتْ الْمَرْكَبَةُ لَحْظَةً، فَرَأَتْ «سَيْتَا» مَخْلُوقَاتٍ تُشْبِهُ الْقُرُودَ الْكَبِيرَةَ، ثُمَّ اسْتَأْنَفَتْ سَيْرَهَا دَفْعَةً فُجَائِيَّةً أَطَارَتْ عَنِ الْأَمِيرَةِ وَشَاحَهَا وَعَقَدَهَا، وَأَلْقَتْ بِهِمَا إِلَى سَاكِنِي ذَلِكَ الْجَبَلِ.

(١٦) بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ

فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا مُتَأَسِّيَةً: «لَعَلَّ فِي سُقُوطِ الْوِشَاحِ وَالْعِقْدِ بِشِيرًا بِالْفَرَجِ، وَإِيذَانًا بِزَوَالِ الْحَرَجِ؛ فَقَدْ يَأْتِي «رَامَا» إِلَى هَذَا الْجَبَلِ، — إِذَا رُزِقَ الْحَيَاةَ وَكُتِبَ لَهُ التَّوْفِيقُ فِي الْبَحْثِ عَنِّي — فَتُعْطِيهِ الْقُرُودُ وَشَاحِي وَعِقْدِي، ثُمَّ تُخْبِرُهُ بِالْمَكَانِ الَّذِي اتَّجَهْتُ إِلَيْهِ.»

وظَلَّتِ الْمَرْكَبَةُ مُسْرِعَةً فِي طَيْرَانِهَا فَوْقَ الْمُدُنِ وَالْقُرَى، حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنْ شَاطِئِ
 الْبَحْرِ. ثُمَّ طَارَتْ فَوْقَ أَمْوَاجِهَا التَّائِرَةِ الْمَائِجَةِ، حَتَّى بَلَغَتْ جَزِيرَةَ «لِنْكَا»، حَيْثُ كَتَبَ
 الْقَدْرُ عَلَى «سَيْتَا» أَنْ تَقْضِيَ سِنَوَاتِ الْأَسْرِ، وَتُعَانِي مِنَ آلامِ الْفِرَاقِ مَا تُعَانِي، وَتُضْجِرْهَا
 الْوَحْدَةَ فَتَعُدَّ الدَّقَائِقَ وَالثَّوَانِي. وَلَمْ يَكُنْ لِيُهَوَّنَ عَلَيْهَا غُمَّتْهَا، وَيُنْسِيَهَا كُرْبَتَهَا، إِلَّا قَبَسَ
 — مِنَ الْأَمَلِ — ضَيْئًا، كَانَ يَلُوحُ لَهَا فِي حَظْبِهَا الْجَلِيلِ، فَيُطِمِعُهَا فِي الْخَلَاصِ مَرَّةً بَعْدَ
 مَرَّةٍ، وَيُنْسِيهَا مَا تُعَانِيهِ مِنَ أَلَمِ الْحَسْرَةِ، وَمَا تُكَابِدُهُ مِنْ حَيَاةٍ مَرَّةً.
 وَمَا أَتَعَسَ الْإِنْسَانُ، لَوْلَا أَمَلٌ رَجَاهُ، فَقَرَّبَ لَهُ الْبَعِيدَ وَأَدْنَاهُ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ مَا يَعْتَرِضُهُ
 وَيَلْقَاهُ، وَأَمَّنَّهُ مَا يَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ، وَأَطْلَعَ لَهُ نَجْمَهُ ضَوْءَ سَنَاهُ، فَاسْعَدَهُ — فِي ظُلُمَاتِ
 يَأْسِهِ — وَأَرْشَدَهُ وَهَدَاهُ، وَيَسَّرَ لَهُ طَرِيقَهُ وَسَدَّدَ خَطَاهُ. وَلَوْلَا الْأَمَلُ لَوْلَاهُ، لَقَتَلَهُ حُزْنُهُ
 وَأَرْدَاهُ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ يَأْسُهُ سُبُلَ الْحَيَاةِ.

الفصل الثالث

زعيم القروء

(١) التِّقَاءُ الْأَخْوَيْنِ

وَلَمَّا صَرَخَ الْأَمِيرُ «رَامَا» سُلْطَانَ الْغَايَةِ، أَسْرَعَ يَسْتَعِجِلُ خُطَاهُ، عَائِدًا إِلَى مَعْنَاهُ. فَلَمَّا بَلَغَ مُنْتَصَفَ طَرِيقِهِ صَادَفَ أَخَاهُ، فَهَالَهُ مِنْهُ مَا رَأَهُ مِنْ تَجَهُمِ مَحْيَاهُ، وَظُهُورِ الْقَلَقِ وَالْحَيْرَةِ عَلَى سِيْمَاهُ. وَأَحَسَّ الْأَمِيرُ بِمَا هُوَ مُسْتَهْدِفٌ لَهُ مِنْ كَيْدِ الدَّهْرِ وَأَذَاهُ، وَتَأَكَّدَ لَهُ — مِنْ عُبُوسِ مَرَأَهُ — صِدْقُ مَا كَانَ يَحْذَرُهُ وَيَحْشَاهُ.

فَابْتَدَرَهُ يَسْأَلُهُ جَلِيَّةَ الْحَبْرِ مُتْلَهِّفًا، وَيَسْتَوْضِحُهُ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ مُتَحَوِّفًا: «كَيْفَ أَهْمَلْتَ نَصِيحَتِي وَخَالَفْتَهَا؟ وَأَيْنَ الْأَمِيرَةُ؟ وَلِمَاذَا تَرَكْتَهَا؟»

فَأَنْشَأَ يَقْضُ عَلَى أَخِيهِ قِصَّتَهُ، بَاسِطًا إِلَيْهِ مَعْذِرَتَهُ، مُلْتَمِسًا مِنْهُ مَغْفِرَتَهُ. وَلَكِنَّ «رَامَا» قَاطَعَهُ غَاضِبًا صَاحِبًا، وَقَالَ لَهُ لِأَيِّمَا عَاتِبًا: «شَدَّ مَا أَخْطَأْتُ — يَا أَخِي — فِي عَجَلَتِكَ، وَأَسَأْتُ فِي فِعْلَتِكَ، فَهَلُمَّ نُسْرِعْ إِلَيْهَا، لَعَلَّنَا نَعْتُرُ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّ قَادِمَانَ عَلَى أَمْرِ حَاطِرٍ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٍ!»



وبَدَلَ الْأَمِيرَانِ جُهْدَيْهِمَا، مُسْرِعِينَ فِي جَرِيهِمَا، حَتَّى أَشْرَفَا عَلَى مَعْنَاهُمَا فِي الْوَادِي. وَهَتَفَا بِأَسْمَاهَا بِأَعْلَى صَوْتَيْهِمَا، ثُمَّ أَعَادَا نِدَاءَهُمَا، وَكَرَّرَا دُعَاءَهُمَا؛ فَضَاعَتْ صَيْحَاتُهُمَا سُدىً، وَلَمْ يُجِبْ نِدَاءَهُمَا غَيْرُ رَجْعِ الصَّدى.

فَزَادَتْ حَيْرَةُ «رَامَا» وَفَزَعَهُ، وَاشْتَدَّ ارْتِبَاكُهُ وَجَزَعُهُ، وَرَاحَ يَجْرِي بِاحْتِثَاءٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْغُدْرَانِ، مَنقَبًا فِي السُّهُولِ وَالْوُدْيَانِ، مُتَفَقِّدًا إِيَّاهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، دُونَ أَنْ يُسْعِدَهُ الْقَدْرُ، بِالْعُنُورِ لَهَا عَلَى أَثَرٍ. فَنَفِدَ (فَرَعَ) صَبْرُهُ، وَخَذَلَهُ تَجَمُّلُهُ، وَتَمَلَّكَتْهُ الْحَسْرَةُ فَكَادَتْ تَقْتُلُهُ،

فَقَالَ لِأَخِيهِ، وَالْحَزْنَ مُلِحَ عَلَيْهِ (لَا يُمْهَلُهُ) وَالْأَسَى مُسْتَبِدُّ بِهِ؛ يُضِلُّهُ — عَنِ قَصْدِهِ — وَيُذْهِلُّهُ: «لَقَدْ سَرَقَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَصْبَحْتَ فِي خَيْرِ كَانٍ!»

فَقَالَ الْأَمِيرُ «لَكُشْمَانُ»: «مَا أَظُنُّ ذَاكَ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا ظَافِرًا بِالْأَمِيرَةِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ! فَلَا تَسْتَسَلِمُ لِلْأَحْزَانِ، وَلَا تَتْرِكُ نَفْسَكَ نَهْبًا لِلْوَسَاوِسِ وَالْأَشْجَانِ، فَلَعَلَّهَا رَقَدَتْ عَلَى حَافَةِ الْغَدِيرِ، مُنْصَتَّةً إِلَى رَنِينِ الْحَرِيرِ؛ فَاسْتَسَلِمْتَ لِمَنَامِهَا، وَاشْتَغَلْتَ بِطَبِيبِ أَحْلَامِهَا. أَوْ لَعَلَّهَا جَالِسَةٌ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبٍ، مَشْغُولَةٌ بِتَأْمُلَاتِهَا فِي زَهْرِ «اللُّوتِسِ» الْعَجِيبِ؛ فَإِنَّهُ — إِلَى نَفْسِهَا — شَائِقٌ حَبِيبٌ. وَطَالَمَا أَلْفَتِ الْجُلُوسَ بَيْنَ الْأَزْهَارِ، وَفِي ظِلَالِ الْأَشْجَارِ، حَيْثُ تَبْهَجُ لِغِنَاءِ الْأَطْيَارِ الشَّجِيَّةِ، وَتَتَمَتَّعُ بِرَائِحَةِ الْوُرُودِ الذَّكِيَّةِ. أَوْ لَعَلَّهَا خَرَجَتْ تَبْحَثُ عَنْكَ فِي أَرْجَاءِ الْغَابَةِ، بَعْدَ أَنْ طَالَ انْتِظَارُهَا، وَعِيلَ اصْطِبَارُهَا، وَأَصْجَرَهَا طَوْلُ عَيْبِكَ، وَانْتِظَارُ عَوْدَتِكَ!»

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَاوَدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَمَلِ بَعْدَ الْيَأْسِ. وَاسْتَأْنَفَ الْبَحْثَ عَنْهَا مَعَ أَخِيهِ — مَرَّةً أُخْرَى — فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، قَاصِيَةٍ وَدَانِيَةٍ، حَتَّى جَاءَ وَقْتُ الْعَتَمَةِ، ثُمَّ أَعَقَبَهُ وَأَوَانُ الظُّلْمَةِ، فَلَمْ يَتْنِ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِهِمَا، عَنِ الْبَحْثِ طَوْلَ لَيْلِهِمَا، حَتَّى أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْغَدِ، وَارْتَفَعَ ضَوْؤُهَا وَامْتَدَّ، فَوَهَنَ الْعَزْمُ مِنْهُمَا، وَدَبَّ الْيَأْسُ إِلَى نَفْسَيْهِمَا، وَأَيَقْنَا — حِينِنْدَ — بِاخْتِفَائِهَا، وَاسْتِحَالَةِ لِقَائِهَا، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ سَعْيُهُمَا قَلِيلَ الْغِنَاءِ (بِلَا فَائِدَةٍ)، وَأَنْطَفَأَ مِنْ قَلْبَيْهِمَا نُورُ الرَّجَاءِ.

(٣) مُنَاقَشَةُ الْأَخْوَيْنِ

فَارْتَمَى الْأَمِيرُ عَلَى الْأَرْضِ بَعَزِيْمَةً خَائِرَةً، وَنَفْسٍ ثَائِرَةً. وَقَالَ لِأَخِيهِ، وَالْحَزْنَ بِنَارِهِ يَكْوِيهِ: «كَيْفَ تَرَكْتَهَا؟ وَلِمَاذَا خَالَفْتَ نَصِيحَتِي وَأَهْمَلْتَهَا؟ أَلَا لَا أَرَى وَجْهَكَ بَعْدَ الْآنِ، وَحَسْبُكَ مَا جَلَبَنَّهُ عَلَيَّ مِنْ فُنُونِ الشَّقَاءِ وَالْأَحْزَانِ، وَضُرُوبِ الْبَلَاءِ وَالْامْتِحَانِ.»

فَاقْتَرَبَ مِنْهُ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ مُسْتَعْظِفًا، وَقَالَ لَهُ مُتَوَدِّدًا مُتَلَطِّفًا: «أَنَاةٌ — يَا أَخِي — وَصَبْرًا، فَلَيْسَ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ يَسْتَسَلِمَ الْإِنْسَانُ لِلْيَأْسِ مَا دَامَ حَيًّا، فَإِنَّ الْيَأْسَ لَا يَجْدُرُ بِغَيْرِ الْجُبْنَاءِ وَالْمُتَرَدِّدِينَ، وَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَدْبَّ إِلَى قَلْبِ مِثْلِكَ مِنَ الصَّابِرِينَ الْمُجَرَّبِينَ. وَسَنْظَفُرُ بِطَلْبَتِنَا وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَلَنْ يَعُوقَنَا مَا نَلْقَاهُ فِي طَرِيقِنَا مِنْ شِدَائِدٍ وَأَهْوَالٍ، وَأَعْبَاءٍ ثِقَالٍ، عَنِ بُلُوغِ مَا نَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ آمَالٍ، فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالْمُتَابَرَةَ — كَمَا تَعَلَّمُ —

كَفِيلَانَ بِالْوُصُولِ إِلَى غَايَتِنَا، وَالظَّفَرَ بِأُمْنِيَّتِنَا، وَاسْتِرْجَاعِ أَمِيرَتِنَا؛ وَلَوْ حَطَفَهَا الشَّيْطَانُ
«رَقَانًا» مَلِكُ الْعَفَارِيثِ وَالْجَنِّ وَالتَّوَابِعِ، وَحَاكِمُ الْمَرْدَةِ وَالْأَبْلَسَةِ وَالرَّوَابِعِ.»

فَقَالَ «رَامَا» وَهُوَ يُغَالِبُ يَأْسَهُ مُتَجَمِّلاً، وَيَكْتُمُ غَيْظَهُ مُتَحَمِّلاً: «وإِلَى أَيِّ مَكَانٍ نَقَصِدُ،
وَقَدْ سُدَّتْ دُونَ غَايَتِنَا الْأَبْوَابُ، وَتَقَطَّعَتْ بِنَا الْأَسْبَابُ، وَضَاقَ عَلَيْنَا فَسِيحُ الرَّحَابِ؟»
فَقَالَ أَحْوَهُ: «صَوَّبَ الْجَنُوبُ، يَا أَحْيَا! فَمَا أَكْثَرَ مَا سَمِعْتُ أَنَّ مَدِينَةَ الْعَفَارِيثِ الَّتِي
يَحْكُمُهَا «رَقَانًا» قَرِيبَةٌ دَانِيَةٌ، مِنْ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ النَّائِيَةِ. فَهَلُمَّ بِنَا لَعَلَّنَا نَظْفُرُ — مِنْ آثَارِهَا
— بِمَا يَهْوَنُ الصَّعَابَ عَلَيْنَا، وَيَرْجِعُ الْأَمِيرَةَ (يُعِيدُهَا) إِلَيْنَا»

(٤) حَدِيثُ النَّسْرِ

وَسَارَ الْأَمِيرَانِ فِي الْإِتِّجَاهِ الْجَنُوبِيِّ زَمَنًا يَسِيرًا. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ «رَامَا» أَنْ شَكَرَ أَخَاهُ، بَعْدَ أَنْ
ظَهَرَ لَهُ صَوَابُ مَا أَدَّاهُ، وَصَدَّقَ مَا اقْتَرَحَهُ وَارْتَأَاهُ؛ فَقَدْ لَقِيََا نَسْرًا عَظِيمَ الْجِسْمِ، هَائِلَ
الْحَجْمِ، يَسِيلُ دَمُهُ الْعَزِيزُ، مِنْ جُرْحِهِ الْكَبِيرِ، فَأَسْرَعَا يَسْأَلَانِهِ، وَعَنْ سِرِّهِ يَسْتَوْضِحَانِهِ،
فَرَفَعَ النَّسْرُ رَأْسَهُ، وَهُوَ يُغَالِبُ يَأْسَهُ، وَحَيَاهُمَا بِإِيْمَاءَةٍ (إِشَارَةٍ) قَصِيرَةٍ، وَهُوَ يَجُودُ
بِأَنْفَاسِهِ الْأَخِيرَةِ. وَقَالَ لَهُمَا وَهُوَ يُحْتَضِرُ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْخَطَرِ: «لَعَلَّكُمَا أَيُّهَا الْأَمِيرَانِ،
عَنْ أَمِيرَتِكُمَا تَبَحْتَانِ، وَفِي أَثَرِهَا تَجِدَانِ؟»

فَأَصْغَيَا إِلَى بَيَانِهِ، وَدَهَشَا مِمَّا يَسْمَعَانِهِ، وَقَالَا مُتَعَجِّبَيْنِ، وَمَنْ حَدِيثِهِ مُتَحَرِّرَيْنِ: «مَا
أُصَدِّقُ مَا حَكَيْتَ، وَأَعْجَبَ مَا رَوَيْتَ، فَحَدِّثْنَا بِمَا رَأَيْتَ. وَلَا تَبْخُلْ عَلَيْنَا بِمَا تَعْلَمُ مِنْ
أَخْبَارِهَا، لَعَلَّنَا نُؤَفِّقُ — بِهَدْيِكَ — إِلَى اقْتِفَاءِ آثَارِهَا.»

فَأَجَابَهُمَا مُتَأَلِّمًا، وَلِلْقَدْرِ مُسْتَسْلِمًا: «لَقَدْ أَصَبْتُ بِهَذَا الْجُرْحِ وَأَنَا أَدُوْدُ (أُدْفَعُ) عَنْهَا
وَأَحْمِيهَا، مِنْ كَيْدِ خَاطِفِهَا. وَلَكِنَّ «رَقَانًا» قَدْ ابْتَدَرَنِي بِطَعْنَةٍ عَاجِلَةٍ، مِنْ حَرَبَتِهِ الْقَاتِلَةِ،
ثُمَّ طَارَ بِمَرْكَبَتِهِ، وَفَرَّ بِأَسِيرَتِهِ.»

فَسَأَلَهُ «رَامَا»: «وَمِنْ أَيِّ طَرِيقٍ مَرَّ؟ وَإِلَى أَيِّ نَاحِيَةٍ فَرَّ؟»

فَعَجَزَ الطَّائِرُ عَنِ الْكَلَامِ، بَعْدَ أَنْ أَلَحَّ عَلَيْهِ السَّقَامُ. وَحَاوَلَ الْأَمِيرَانِ عَبَثًا أَنْ يَقِفَا
نَزِيفَ الدَّمِ لِيُنْقِذَاهُ مِنْ صَرَعَتِهِ، أَوْ يُنْعِشَاهُ مِنْ عَثَرَتِهِ؛ فَلَمْ يَزِدْ جِينِيذٌ عَلَى هَمْسَةِ أَسْرَهَا

إِلَيْهِمْ، وَهُوَ يُعَانِي ضُرُوبًا مِنْ آلامِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ، وَيُقَاسِي أَلْوَانًا مِنْ شِدَّتِهِ وَعَمْرَاتِهِ:
إِلَى الْجَنُوبِ ... جَبَلِ «رِشْيَامُوكَا» ... «سُجْرِيْقَا» ... مَلِكِ «القَانَارِ» ... مَعُونَتَهُ!
ثُمَّ كَفَّ عَنِ الْحَرَكَةِ وَاسْتَحَالَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ، وَانْتَضَمَتْ جِسْمُهُ الرَّعْشَةُ، حَتَّى أَسْلَمَتْهُ
إِلَى الْحِمَامِ (انْتَهَتْ بِهِ إِلَى الْمَوْتِ).

(٥) جَبَلُ الْقُرُودِ

فَلَمْ يَجِدَا وَسِيلَةً لِمُكَافَاةِ هَذَا النَّسْرِ الْكَرِيمِ، عَلَى صَنِيعِهِ الْعَظِيمِ، وَإِظْهَارِ إِجْلَالِهِمَا
وَإِكْبَارِهِمَا، وَالتَّعْبِيرِ عَنْ ثَنَائِهِمَا وَشُكْرِهِمَا، إِلَّا أَنْ يَخْطَأَ (يَشُقَّأ) لَهُ فِي أَرْضِ الْغَابَةِ قَبْرًا،
وَإِنْ قَلَّ ذَلِكَ لَهُ جَزَاءً وَأَجْرًا. ثُمَّ دَفَنَا جُنَّتَهُ فِي تَرْبَتِهِ، عَرْفَانًا لِنَبَالَتِهِ، وَتَقْدِيرًا لَشَجَاعَتِهِ.
ثُمَّ جَدَّدَا عَزْمَهُمَا، وَاسْتَأْنَفَا — إِلَى الْجَبَلِ — سَيْرَهُمَا. وَطَالَتْ رِحْلَتُهُمَا الشَّقَاةُ فِي
غَابَةِ الشَّيَاطِينِ الْمُظْلِمَةِ أَيَّامًا عِدَّةً، يَحْدُوهُمَا ضَعِيفُ الْأَمَلِ، حَتَّى بَلَغَا سَهْلًا وَاسِعًا يُلُوحُ
فِي آخِرِهِ ذَلِكَ الْجَبَلُ.

فَصَاحَ الْأَمِيرُ الصَّغِيرُ فَرِحًا مَسْرُورًا، وَقَالَ لِأَخِيهِ مُبْتَهَجًا مَحْبُورًا: «هَا هُوَ ذَا جَبَلِ
«رِشْيَامُوكَا». أَلَيْسَ هَذَا بَشِيرًا بَاهْتِدَائِنَا، وَإِيدَانًا بِالْفَوْزِ عَلَى أَعْدَائِنَا؟»
فَأَجَابَهُ أَخُوهُ: «مَا أَصْدَقَ أَنْبَاءَكَ، وَأَصْحَ آرَاءَكَ!»



ثُمَّ أَسْرَعَا صَوْبَ الْجَبَلِ حَتَّى بَلَغَا سَفْحَهُ، وَأَرَادَا أَنْ يَرْتَقِيَاهُ لَعَلَّهُمَا يَلْقَيَانِ «سُجْرِيْفَا». وَإِنَّهُمَا لَيَحْلُمَانِ بِتَحْقِيقِ ذَلِكَ الْأَمَلِ، إِذَا بَقِرْدٌ كَبِيرٌ ضَخْمُ الْجَبْتِ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْدَى مَغَارَاتِ الْجَبَلِ، ثُمَّ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُمَا، وَيَقُولُ لَهُمَا: «قِفَا أَيُّهَا الرَّجُلَانِ، وَخَبِّرَانِي: مَا بِالْكُفَا تُسْرِعَانِ؟ وَفِيمَ أَنْتُمَا قَادِمَانِ؟ وَإِلَى أَيِّ مَكَانٍ تَقْصِدَانِ؟ فَإِنِّي سَفِيرُ «سُجْرِيْفَا» وَأَسْمِي «هَانُومَانُ»». فَابْتَهَجَا بِلِقَاءِ هَذَا السَّفِيرِ، وَسَرًّا مِنَ الْقِرْدِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ رَأَى دَلَائِلَ الشَّهَامَةِ وَسَمَاحَةَ النَّفْسِ بَادِيَةً عَلَى سِيمَاهُ، بَرْنَمٍ قُبْحِ مَنْظَرِهِ وَخُسُونَةِ مَرَأَةٍ. فَتَوَدَّدَ الْأَمِيرُ إِلَيْهِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَدِ ابْتَهَجَتْ نَفْسُهُ لِلْقِيَاءِ، وَأَيَّقَنَ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِمَا تَمَنَّاهُ. وَاعْتَزَمَ أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْهِ بِقَصَّتِهِ، وَيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى إِنْجَازِ حُطَّتِهِ.»

(٧) آثَارُ الْأَمِيرَةِ

وَلَا تَسَلْ عَنْ فَرَحِ الْأَمِيرِ حِينَ أَخْبَرَهُ «هَانُومَانُ» أَنَّهُ رَأَى مَرْكَبَةَ الشَّيْطَانِ، سَرِيْعَةَ الطَّيْرَانِ، مَيِّمَةً صَوْبَ الْمِنْطَقَةِ الْجَنُوبِيَّةِ، وَهِيَ تَقِلُّ (تَحْمِلُ) أَمِيرَةً فِتِيَّةً، وَقَدْ أَلْهَمَهَا عَقْلُهَا الذِّكْيَ، فَأَلْقَتْ بِوَسَاحِهَا الذَّهَبِيَّ، وَعَقَدَهَا اللُّؤْلِيَّ.

وَمَا رَأَى الْأَمِيرُ الْوَسَاحَ وَالْعِقْدَ، حَتَّى غَلَبَهُ الْأَسَى (الْحُزْنُ) وَهَاجَهُ الْوَجْدُ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْفَاءَ زَفَرَتِهِ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مِغَالَبَةِ عِبْرَتِهِ (دَمَعَتِهِ)، فَحَزَنَ «هَانُومَانُ» لِحُزْنِ صَاحِبِهِ الْجَدِيدِ، وَقَالَ لَهُ: «لَعَلَّكَ جِئْتَ تَطْلُبُ الْمَعُونَةَ مِنْ «سُجْرِيْقَا» مُوَلَايَ، فَهَلُمَّ مَعِيَ مُتَّبِعًا سَيْرِي وَخُطَايَ.»

(٨) الْعَرْشُ الْمَغْتَصَبُ

وَسَارَ بِهِمَا السَّفِيرُ مَيِّمًا (قَاصِدًا) ظَهَرَ الْجَبَلِ حَتَّى اغْتَلِيَاهُ، وَمَا لَبِثَا أَنْ بَلَغَا قِمَّتَهُ وَذُرَاهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُمَا — فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِمَا — أَنَّ هَذَا الْجَبَلَ الشَّاهِقُ يَقْطُنُهُ فَصَائِلُ لَا يُحْصَى عَدْدُهَا مِنَ الْقُرُودِ الْكِبَارِ، يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ قَبَائِلِ «الْقَانَارِ». وَقَدْ حَكَّمَهَا «سُجْرِيْقَا» زَمَنًا طَوِيلًا، ثُمَّ نَازَعَهُ أَخُوهُ «بَالِي» وَشَنَّ عَلَيْهِ غَارَةً شَعْوَاءَ، وَحَرْبًا هَوَاجًا، انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ «سُجْرِيْقَا» هَزِيمَةً نَكْرًا. وَلَمَّا رَأَى نَفْسَهُ مُعْرَضًا لِلتَّهْلُكَةِ فَرَّ هَارِبًا مِنْ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ. وَاسْتَأْتَرَ الْغَاصِبُ بَعْرَشَ «كَشْكِنْدَةَ»، وَبَقِيَ «سُجْرِيْقَا» — مُنْذُ سَنَوَاتٍ يُعَانِي الْأَلَمَ وَالضِّيقَ، بَعْدَ أَنْ حَلَّ جَبَلَ «رِشِيَامُوكَا» ذَلِكَ الْمَنْفَى السَّحِيقَ. فَأَمَّا أَعْوَانُهُ وَحَاشِيَتُهُ فَقَدْ انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَجَحَدُوا مَا أَسْلَفَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ إِلَّا بَعْضُ جُنُودِهِ الْأَوْفِيَاءِ الْأَخْيَارِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ «هَانُومَانُ» زَعِيمُ قَبَائِلِ «الْقَانَارِ».

(٩) فِي الْمَنْفَى

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «رُبَّمَا أَتَاكَ لَكَ الْقَدْرُ فُرْصَةً سَعِيدَةً، تُمْكِنُكَ مِنْ مُسَاعَدَةِ مَلِيكِنَا «سُجْرِيْقَا» فِي رَدِّ عَرْشِهِ الْمَفْقُودِ، وَمُلْكِهِ الْمَنْشُودِ، مَا دُمْتَ مُتَّئِبًا، تَمْلِكُ مَا تَمْلِكُ مِنْ أَسْلِحَةِ النَّاسِكِ الْمُؤَفُّورَةِ، وَسَهَامِهِ الْمَسْحُورَةِ، فَإِذَا تَمَّ لِمَوْلَايَ — بِفَضْلِكَ — النَّصْرُ عَلَى

غَاصِبٍ مُلْكِهِ، فَلَنْ يَتَرَدَّدَ فِي مُعَاوَنَتِكَ، عَلَى هَزِيمَةِ خَصْمِكَ. فَإِنَّهُ وَقَوْمُهُ، لَنَا وَلِقَوْمِنَا أَعْدَاءٌ،
وَحُصُومٌ أَلْدَاءُ، وَكَرَاهِيَتُنَا لَهُمْ نَامِيَةٌ، وَأَحْقَادُنَا عَلَيْهِمْ بَاقِيَةٌ حَامِيَةٌ.»
وَلَمَّا بَلَّغُوا قِمَّةَ الْجَبَلِ، وَجَدُوا «سُجْرِيثًا» جَالِسًا فِي مَنْفَاهُ، مُسْتَعْرِقًا فِي حُزْنِهِ
مُسْتَسْلِمًا لِأَسَاةِ. وَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى حَدِيثِ «رَامَا» حَتَّى بَرَقَ الْأَمَلُ عَلَى مُحْيَاةِ، فَقَالَ مُخَاطِبًا
إِيَّاهُ: «مَا دُمْتَ تَمْلِكُ عَزِيمَتَكَ الْمَاضِيَةَ، وَسَهَامَكَ الْقَاضِيَةَ، فَقَدْ زَالَ عَهْدُ مُحْنَتِنَا وَشَقَاتِنَا،
وَضَمِنَّا الْفُورَ عَلَى أَعْدَائِنَا. وَقَدْ أَصْبَحَ نَجَاحُنَا — بَعْدَ قَلِيلٍ — مَأْمُولًا، وَنَصْرُنَا — بِفَضْلِ
تَعَاوُنِنَا — مَكْفُولًا. وَأَنَا قَادِرٌ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْغَاصِبِ وَحْدِي، وَالتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ بِجُهْدِي. وَإِنِّي
لَعَلَى ثِقَةٍ مِنْ حُسْنِ الْمَصِيرِ، إِذَا كَفَيْتِنِي مُحَارَبَةَ جَيْشِهِ الْكَبِيرِ.»
فَتَعَاهَدَا عَلَى ذَلِكَ، وَأَقْسَمَا لِيُظْفِرَانَّ بِهِ وَلَوْ خَاضَا الْمَهَالِكَ، وَلِيُدْرِكَنَّ مَا أَرَادَاهُ،
وَيَبْلُغَنَّ مَا تَمَنَّىاهُ.

(١٠) مَضْرَعُ الْغَاصِبِ

فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ «رَامَا» أَلَّا يُضِيعَ شَيْئًا مِنَ الْوَقْتِ فِي الْأَسْفِ وَالْعَوِيلِ، وَأَنْ يُعِدَّ عِدَّتَهُ لِلرَّحِيلِ.
فَبَلَّغُوا مَمْلَكَةَ «كَشِكْنَدَةَ» بَعْدَ زَمَنِ قَلِيلٍ.
وَكَانَ الْغَاصِبُ الْجَرِيءُ «بَالِي» قَدْ بَلَغَهُ بَعْضُ أَنْبَائِهِمْ؛ فَاسْتَرَعَ إِلَى لِقَائِهِمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَيْشًا لَا يُحْصَى عِدَّتُهُ مِنَ الْأَبْطَالِ، مِمَّنْ لَا يَخْشَوْنَ الرَّدَى وَلَا يَهَابُونَ الْقِتَالَ. وَلَمْ يَرِ
أَخَاهُ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ غَاضِبًا مِنْ جُرْأَتِهِ؛ فَلَقِيَهُ الْأَخْرُ دُونَ تَهَيُّبِ لِقْوَتِهِ، وَلَا خَوْفٍ مِنْ
سَطْوَتِهِ. وَعَلَتِ الصِّيْحَاتُ مُتَرَدِّدَةً، مُنْذِرَةً بِالْوَيْلِ مُتَوَعِّدَةً، مُنْبِعِثَةً مِنَ الْقَرْدَيْنِ، مُؤَذِّنَةً
بِالْهَلَاكِ وَالْحَيْنِ.

وَوَقَفَ «رَامَا» — بادئ الأمر — مُتَرَقِّبًا أَنْ يَصْرَعَ «سُجْرِيثًا» خَصْمَهُ «بَالِي»، دُونَ
حَاجَةٍ إِلَى مَسَاعَدَتِهِ. وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَى قُوَّةَ الْغَاصِبِ، حَشِيَ سَوْءَ الْعَوَاقِبِ.
وَكَانَ «رَامَا» — كَمَا حَدَّثْتُكَ — نَبَالًا مَاهِرًا، بَارِعًا فِي الرَّمَايَةِ قَادِرًا. فَسَدَّدَ إِلَى قَلْبِهِ
سَهْمًا نَافِذًا فَأَصْمَاهُ (أَهْلَكَهُ وَأَرَادَاهُ)، وَأَفْقَدَهُ الْحَيَاةَ، وَحَرَّ «بَالِي» صَرِيحَ بَعْغِهِ وَأَذَاهُ.

(١١) أَفْرَاحُ النَّصْرِ

وَنَادَى الزَّعِيمُ «هَانومانُ» جُيُوشَ «بالي» أَنْ يَعُودُوا إِلَى طَاعَةِ مَلِكِهِمْ «سُجْرِيْقًا». وَكَانُوا جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ، وَلَمْ يَدِينُوا بِطَاعَةِ «بالي» إِلَّا خَوْفًا مِنْ جَبْرُوتِهِ وَبَطْشِهِ. وَقَدْ فَرِحُوا بِانْتِصَارِ مَلِكِهِمْ الْأَوَّلِ، وَهَتَفُوا لَهُ مُتَحَمِّسِينَ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ مُهْنِيَيْنَ.

وَشَكَرَ الْمَلِكُ لِمُنْقَذِهِ «راما» وَكَرَّرَ لَهُ وَعَدَّهُ بِأَنْ يُطْلِقَ جُيُوشَهُ فِي أَنْحَاءِ الْبِلَادِ — مَتَى عَادَ إِلَى حَاضِرَةِ مُلْكِهِ — لِيُوَاصِلُوا الْبَحْثَ عَنِ «سِيْتَا»، وَيُنْزِلُوا بِخَصْمِهِ الشَّيْطَانِ، مَا هُوَ جَدِيرٌ بِهِ مِنَ الدَّلَّةِ وَالْهَوَانِ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ سَرَاعًا بَعْدَ أَنْ عَادَ «سُجْرِيْقًا» إِلَى حَاضِرَةِ الْمَلِكِ، وَاسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ، وَشَغَلَتْهُ أَفْرَاحُ النَّصْرِ عَنْ تَحْقِيقِ وَعْدِهِ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ. وَانْقَضَتِ الشُّهُورُ مُسْرِعَةً، وَهُوَ لَا يُفِيْقُ مِنْ سَكْرَةِ الْاِنْتِصَارِ، وَلَا تَنْقُضِي لِوَأْتِئُهُ لَيْلَ نَهَارٍ، غَيْرَ مُفَكِّرٍ فِي إِعْدَادِ الْجَيْشِ الْكَبِيرِ، لِتَحْقِيقِ طَلْبَةِ الْأَمِيرِ.

(١٢) الْجَيْوشُ الْأَرْبَعَةُ

وَخَجَلَ «هَانومانُ» — زَعِيمُ الْقُرُودِ — مِنْ إِغْضَاءِ مَوْلَاهُ، وَتَهَاوُنِهِ فِي إِبْلَاحِ الْأَمِيرِ مُبْتَغَاهُ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ رَاجِعًا مُسْتَعْظِمًا، وَتَحَيَّنَ فُرْصَةً سَاحِحَةً لِتَذْكَيرِهِ بِوَعْدِهِ مُتَلَطِّفًا. وَمَا زَالَ يَبْدُلُ جُهْدَ حِيلَتِهِ حَتَّى أَجَابَهُ «سُجْرِيْقًا» إِلَى رَغْبَتِهِ، وَأَمَرَ بِتَوْجِيهِ أَرْبَعَةَ مِنَ الْجَيْوشِ، إِلَى جِهَاتِ الْعَالَمِ الْأَرْبَعِ؛ فَاتَّجَهَ أَحَدُهَا إِلَى الشَّمَالِ، وَالثَّانِي إِلَى الْجَنُوبِ، وَالثَّلَاثُ إِلَى الشَّرْقِ، وَالرَّابِعُ إِلَى الْغَرْبِ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَهْتَدُوا إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي تَحَلُّ فِيهِ «سِيْتَا» وَ«رَقَانَا».



وَمَرَّ عَلَى «رَامَا» زَمَنٌ طَوِيلٌ قَضَاهُ عَلَى أَحَرَ مِنَ الْجَمْرِ، مُتَرَقِّبًا عَوْدَةَ أَوْلِيكَ الْجُنُودِ بِفَارِغِ الصَّيْرِ. ثُمَّ عَادَتْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْجَبُوشِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَيْشُ الْجَنُوبِ يَقُودُهُ صَدِيقُهُ الْوَفِيُّ «هَانُومَانُ» الَّذِي لَا يَجُودُ بِمِثْلِهِ الزَّمَانُ. وَمَرَّتْ عِدَّةٌ أَشْهُرٌ دُونَ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ ذَلِكَ الْجَيْشِ نَفْرًا، أَوْ يَصِلَ مِنْهُ خَبْرٌ، فَتَوَقَّعَ أَهْلُ «كَشِكِنْدَةَ» أَنْ يَكُونَ قَدْ لَحِقَ بِهِ شَرٌّ، أَوْ أَصَابَ قَائِدَهُ ضَرْرٌ.

(١٣) جَيْشُ الْجَنُوبِ

وَلَا أَكْتُمُ — أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ — أَنْ جَيْشَ الْجَنُوبِ — وَعَلَى رَأْسِهِ «هَانُومَانُ» — قَدْ تَعَرَّضَ لِأَخْطَارٍ عَظِيمَةٍ، وَأَهْوَالٍ جَسِيمَةٍ. وَقَدْ كُتِبَتْ السَّلَامَةُ لِقَائِدِهِ، بَعْدَ أَنْ اسْتَهْدَفَ لِلْهَلَاكِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. وَلَكِنَّ عَزِيمَتَهُ الْمَاضِيَةَ لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا الْوَهْنُ، وَلَمْ تَزِدْ إِلَّا قُوَّةً عَلَى الْأَحْدَاثِ وَالْمَحَنِ، فَقَدْ أَقْسَمَ لِيَعُودَنَّ بِمَا يُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهِ مِنْ أَخْبَارِ «سَيْتَا». فَلَمْ يُبَالِ شَيْئًا فِي سَبِيلِ هَذَا الْعَمَلِ، وَدَرَكَ ذَلِكَ الْأَمَلُ.

وَأَوْغَلَ بِجَيْشِهِ — صَوْبَ الْجَنُوبِ — بَيْنَ الْأَدْعَالِ، مُتَنَقِّلًا مِنْهَا إِلَى الْمَنَاقِعِ (جَمْعَ مُسْتَنْقَعٍ) وَالرَّحَابِ، الْمُمْتَدَّةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْعُبَابِ، وَفَوْقَ السُّهُولِ وَالْهَضَابِ، صَاعِدًا التَّلَالِ، مُرْتَقِيًا قِمَمَ الْجِبَالِ.

(١٤) حَدِيثُ النَّسْرِ

وَمَا زَالَ يُوَاصِلُ بَحْتَهُ بِهَمَّةٍ لَا تَعْرِفُ الْكِلَالَ، وَعَزَمَ لَا يَدْبُ إِلَيْهِ الْمَلَالَ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ الْمَطَافُ إِلَى رَأْسِ طُودٍ أَشَمَّ (جَبَلٍ عَظِيمٍ)، عَالِي الْقِمَمِ، حَيْثُ التَّقَى بِنَسْرِ اسْمُهُ «سَمِّياتِي» بَلَغَتْ بِهِ السُّنُّ حَدَّ الْهَرَمِ، وَهُوَ كَبِيرُ الْحَجْمِ، عَظِيمُ الْجِسْمِ. وَقَدْ عَرَفَ — مِنْ حَدِيثِهِ — أَنَّهُ أَخُو «چاتايو» الَّذِي لَقِيَ مَصْرَعَهُ فِي سَبِيلِ حِمَايَةِ الْأَمِيرَةِ. وَكَانَ هَذَا النَّسْرُ مَشْغُوفًا — مُنْذُ نَشَأَتِهِ — بِغَايَةِ لَا سَبِيلَ إِلَى دَرْكِهَا، وَلَا أَمَلَ فِي الْفَوْزِ بِهَا؛ فَقَدْ وَطَّدَ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ يَرِوِضَ جَنَاحِيهِ عَلَى مُحَاوَلَةِ جَرِيئَتِهِ، لَمْ يُفَكِّرْ فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ؛ تِلْكَ أَنْ يُوَاصِلَ سَعْيَهُ حَتَّى يَبْلُغَ الشَّمْسَ، وَهِيَ أَقْصَى أَمَلِهِ. وَقَدْ بَلَغَ — فِي طَيْرَانِهِ — حَدًّا مِنَ الِارْتِفَاعِ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ النَّسُورُ، فِي سَوَابِقِ الْعُصُورِ. ثُمَّ خَذَلَتْهُ قُوَاهُ، فَهَوَى إِلَى زِرْوَةِ الْجَبَلِ مِنْ شَاهِقِ عُلَاهُ، فَهَيْضَ (انْكَسَرَ) جَنَاحَاهُ، وَكَانَ يَفْقِدُ الْحَيَاةَ. وَهَذَا جَزَاءٌ مَنْ يُسْرِفُ فِي الْأَمَالِ، وَيَجْرِي وَرَاءَ الْمُحَالِ.

وَقَدْ أَقْصَى إِلَى «هانومان» أَنَّهُ رَأَى — فِي أَثْنَاءِ تَحْلِيْقِهِ — مَرْكَبَةً «رثانا» تَهْبِطُ جَزِيرَةَ «لُنْكَا» وَفِيهَا أُسِيرَةٌ غَاضِبَةٌ، ثَائِرَةٌ صَاحِبَةً، لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهَا «سَيْتا» الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا. وَلَكِنَّهُ يَخْشَى أَنْ تَكُونَ فُرْصَةً نَجَاتِهَا قَدْ فُوتَتْ عَلَيْهِ، وَأَقْلَمَتْ مِنْ يَدَيْهِ، فابْتَهَجَ «هانومان» بِمَا سَمِعَ، وَقَالَ لَهُ: «لَنْ تَضِيْعَ الْفُرْصَةُ — يَا سَيِّدِي — فَإِنِّي مُسْرِعٌ إِلَى انْقِادِهَا، وَمَعِيَ مِنْ جُيُوشِ «القناران»، أَشْجَعُ الشُّجْعَانِ، وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى عَزْوِ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ».

فَقَالَ لَهُ «سَمِّياتِي»: «إِنَّ الْبَحْرَ ذَا الْأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ يَكْتَنِفُ جَزِيرَةَ «لُنْكَا» مِنْ كُلِّ جِهَاتِهَا، وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جَنَبَاتِهَا. وَلَيْسَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ أَنْ يَبْلُغَهَا إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ، وَأَعْوَانُهُ مِنَ الْعَفَارِيثِ وَالْجَانِّ».

(١٥) عَبُورُ الْبَحْرِ

وَلَمْ يَكْفِ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ دَابِّ «هانومان»، بَلْ ضَاعَفَ هِمَّتَهُ، وَقَوَّى عَزِمَتَهُ. وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَعُودَ إِلَى صَاحِبِهِ «راما» لِيُخْبِرَهُ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ سَعْيُهُ، بَلْ عَزَمَ عَلَى زِيَارَةِ «لُنْكَا» لِيَتَعَرَّفَ بِنَفْسِهِ خَطَطَ الْأَعْدَاءِ وَيَزِنَ قُوَّتَهُمْ، وَيَتَكَشَّفَ الْمَكَانَ الَّذِي سَجَنُوا فِيهِ أُسَيْرَتَهُمْ، وَيَدْبُرَ — لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا — حُطَّةً بَارِعَةً، وَطَرِيقَةً نَاجِعَةً.

فَأَمَرَ جَيْشَهُ بِالْبَقَاءِ — حَيْثُ هُوَ — رَيْثَمَا يَرْتَادُ الطَّرِيقَ، وَيَضْمَنُ لَهُمُ الْفَوْزَ
وَالْتَّوْفِيقَ. وَذَهَبَ «هَانومانُ» حَتَّى بَلَغَ شَاطِئَ الْبَحْرِ، فَأَيَّقَنَ بِصَدِقِ مَا قَالَهُ صَدِيقُهُ
النَّسْرُ، وَرَأَى — مِنْ أَهْوَالِهِ وَعَجَائِبِهِ — بَعْدَ نَظَرٍ صَاحِبِهِ، فِيمَا حَدَّثَ بِهِ.



وَعَرَفَ أَنَّهُ كَانَ جَادًّا حِينَ حَدَّرَهُ أَنْ يُعَرِّرَ بِنَفْسِهِ فِي تِلْكَ الشُّعَابِ وَالْمَسَالِكِ، وَهِيَ
مَمْلُوءَةٌ بِالْأَخْطَارِ وَالْمَهَالِكِ؛ فَقَدْ لَاحَتْ جَزِيرَةٌ «لُنْكَا» الْمَسْحُورَةٌ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ فِي
عَرْضِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا، فَاسْتَحَالَ بُلُوغُهَا عَلَى غَيْرِ أَهْلِهَا. وَلَكِنَّ
الْعَزِيمَةَ الْوَثَابَةَ لَا تَقْفُ عَقْبَةَ دُونَ تَحْقِيقِ أَمَانِيهَا، وَلَا يَعْتَرِضُهَا فِي سَبِيلِ أَهْدَافِهَا شَيْءٌ
يَعُوقُهَا أَوْ يَثْبِيهَا. وَكَانَ «هَانومانُ» سَبَاقَ الْخَطْوِ، بَارِعًا فِي الْعُدْوِ، جَرِيءَ الْوَثَبَاتِ، سَرِيعَ
الْقَفْزَاتِ، فَأَغْرَاهُ ذَلِكَ بِالتَّفَكِيرِ فِي مُحَاوَلَةِ خَطِيرَةٍ، لَمْ يَفَكَّرْ فِي مِثْلِهَا — مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ
— أَحَدًا، فَقَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يَظْفَرَ بِطَلْبَتِهِ، أَوْ يَمُوتَ فِي سَبِيلِ غَايَتِهِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَقْفِزَ مِنْ شَاطِئِ
الْبَحْرِ إِلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِالْأَمْوَاجِ الثَّائِرَةِ الْهَائِجَةِ.

وَمَا أَبْرَمَ هَذَا الْعَزْمَ حَتَّى ارْتَقَى — مِنْ فَوْرِهِ — زِرْوَةَ صَخْرَةٍ نَاتِيَةٍ، ثُمَّ قَفَزَ فِي
الْهَوَاءِ قَفْزَةً عَالِيَةً، عَبَّرَ بِهَا إِلَى الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ.

(١٦) فِي جَزِيرَةِ «لُنْكَا»

وَجَبِينِذٍ سُرِّي عَنْ نَفْسِهِ مَا أَلَمَّ بِهَا مِنَ الضِّيقِ، بَعْدَ أَنْ لَاحَتْ لَهُ بِشَائِرُ التَّوْفِيقِ. وَقَدِ
اشْتَدَّ عَجْبُهُ مِمَّا رَأَى فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْمَسْحُورَةِ، مِنْ رَوَائِعِ الْمَنَاطِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الْكَثِيرَةِ
الْمَوْفُورَةِ؛ مِمَّا تَحْلُبُّ الْأَلْبَابَ رُؤْيُئَهُ، وَتَبْهَرُ الْعُقُولَ فِتْنَتُهُ. وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ مَوَاطِنَ الشَّرِّ

مُصْحُوبَةٌ دَائِمًا بِالْمَنَاظِرِ اللَّطِيفَةِ، وَالْمَبَاهِجِ الظَّرِيفَةِ، لِنَجْتَذِبَ إِلَيْهَا النُّفُوسَ الضَّعِيفَةَ. كما أَنَّ مَوَاطِنَ الخَيْرِ مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالْعَقَبَاتِ؛ لِتُبْعِدَ عَنْهَا العَزَائِمَ الْمُتَرَدِّدَاتِ، وَالهِمَمَ الْفَاتِرَاتِ.»

وَقَدْ رَأَى الحَشَائِشَ النَّاعِمَةَ — تَحْتَ أَقْدَامِهِ — مُرْصَعَةً بِالْأَزْهَارِ. وَأَبْصَرَ — مِنْ حَوْلِهِ — بَدَائِعَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، مُحَمَّلَةً بِأَطْيَبِ الْفَاكِهَةِ وَالذُّ الثَّمَارِ. وَلَا ح — لِعَيْنَيْهِ — مَنظَرُ المَدِينَةِ البَهِيِّ وَسُورِهَا الذَّهْبِيِّ، وَتَبَدَّتْ — لِنَاظِرِيهِ — بُرُوجُهَا بِيضًا عَالِيَةً، مُحْتَالَةً زَاهِيَةً، بِأَنْفَسِ اللَّالِي حَالِيَةً، كَأَنَّمَا بُنِيَتْ مِنَ الْأَحْجَارِ الكَرِيمَةِ، وَالدَّرَرِ الْيَتِيمَةِ. وَهِيَ تُحِيطُ بِقَصْرِ الشَّيْطَانِ «رَقَانًا»، وَقَدْ ارْتَفَعَتْ — مِنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ — جُدْرَانُهُ الشَّاهِقَةُ، وَحِيطَانُهُ السَّامِقَةُ؛ فَلَا حَتْ — وَرَاءَ الْأَسْوَارِ — مِنْ أْبَعَدِ مَدَى لِلنَّاطِرِينَ، فِتْنَةً لِلرَّائِينَ، وَجَمَالًا لِلْمَجْتَلِينَ (النَّاطِرِينَ).

(١٧) فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ

فَقَالَ «هانومان» فِي نَفْسِهِ: «مَا أَشْكُ فِي أَنَّ الْأَمِيرَةَ مُسْتَحْفِيَةً فِي هَذِهِ المَدِينَةِ؛ فَلَأُصْبِرَنَّ مَدَّةً يَسِيرَةً، حَتَّى يَنْقُضِيَ النَّهَارُ، وَيَسْتَحْفِي نُورُهُ عَنِ الْأَبْصَارِ.»
ثُمَّ صَبَرَ خَارِجَ المَدِينَةِ — حَتَّى يَجَنُّ اللَّيْلُ — وَدَبَّرَ خَطَّةً مُحْكَمَةً، فَحَوَّلَ نَفْسَهُ قِرْدًا صَغِيرًا، بِمَا أُوتِيَ مِنْ فُنُونِ سَحْرِهِ وَبِرَاعَتِهِ؛ حَتَّى لَا يَسْتَرَعِيَ الْأَنْظَارَ بِضَخَامَتِهِ. ثُمَّ تَسَلَّقَ أَسْوَارَهَا الذَّهْبِيَّةَ، وَقَدْ بَدَلَ جَهْدُهُ فِي الاسْتِحْفَاءِ عَنِ العِيَانِ، مُنْسَلًّا بَيْنَ الجُدْرَانِ.

(١٨) فِي الْقَصْرِ الشَّيْطَانِيِّ

وَرَأَى الشُّوَارِعَ فِيهَا رَحْبَةً، يَخْفَرُهَا حُرَّاسٌ مِنَ المَرَدَةِ وَالْعَفَارِيَتِ. وَلِكِنَّهُمْ لَمْ يُبْصِرُوهُ لِصِغَرِ حَجْمِهِ، وَضَالَّةِ جِسْمِهِ. فَأَسْرَعَ إِلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ الشَّيْطَانِيِّ الكَبِيرِ، وَبَحَثَ فِي جَمِيعِ أُنْحَائِهِ وَأَرْجَائِهِ، وَحُجْرَاتِهِ وَمَخَادِعِهِ وَأَبْهَائِهِ، وَفَتَّشَ أَثَانَتَهُ وَفُرُشَهُ، وَأَطَالَ البَحْثَ وَالنَّظَرَ، دُونَ أَنْ يَعْتَرَّ لِلْأَمِيرَةِ عَلَى أَثَرِ.

وَقَدْ أَدْهَشَتْهُ رَوَائِعُ الصَّنْعَةِ وَنَفَائِيسُ الفَنِّ المُبَدَّعَةِ، وَفَتَنَتْهُ مَا رَأَهُ، فِي كُلِّ مَكَانٍ حَلَّ بِهِ وَاجْتَلَاهُ. وَكَانَ مِنْ أَعْجَبَ مَا أَعْجَبَهُ مِنْ تِلْكَ التَّحْفِ الذَّهْبِيَّةِ، المُرْصَعَةِ بِكِرَائِمِ

الأَجَارِ اللُّؤْلُؤِيَّةِ — مِمَّا عَصَّ بِهِ القَصْرَ (أَزْدَحَمَ) — تِلْكَ الأَرِيكَةُ البُلُورِيَّةُ الَّتِي رَقَدَ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ «رَفَانًا». وَكَانَ حِينئِذٍ — مُسْتَعْرِقًا فِي سُبَاتِ (نَوْمِ) عَمِيقٍ، فَتَأَمَّلَ «هَانومانُ» فِي وَجْهِ ذَلِكَ الإِبْلِيسِ، وَأَرَادَ أَنْ يَبْتَدِرَهُ بِضَرْبَةٍ قَاصِمَةٍ، وَطَعْنَةٍ حَاسِمَةٍ، تَصْرَعُهُ وَتُجَدِّلُهُ، وَتَرِيحُ العَالَمَ مِنْ أَذَاهُ وَتَقْتُلُهُ. وَلِكِنَّهُ رَأَى مِنْ الحِكْمَةِ أَنْ يَبْدَأَ بِإِنْقَازِ الأَسِيرَةِ، وَتَحْلِيصِ الأَمِيرَةِ، قَبْلَ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى القُوَّةِ، وَيُصَاوِلَ عَدُوَّهُ، فَسَارَ مُتَرْفِقًا حَتَّى بَلَغَ دُورَ النِّسَاءِ الحِنِّيَّاتِ، وَتَأَمَّلَ وَجُوهَهُنَّ القَبِيحَاتِ. وَكَانَ — حِينئِذٍ — مُسْتَسْلِمَاتٍ لِلْكَرَى (مُسْتَعْرِقَاتٍ فِي النُّومِ)، فَرَأَهُنَّ دَمِيمَاتِ الصُّورِ، قَبِيحَاتِ الوُجُوهِ؛ فَأَيَّقَنَ — بَعْدَمَا رَأَهُ مِنْ دَمَامَةٍ وَجُوهَهُنَّ — أَنَّ الأَمِيرَةَ لَيْسَتْ إِحْدَاهُنَّ.

وما زالَ يواصلُ البَحْثَ فِي أُنْحَاءِ القَصْرِ الشَّيْطَانِيِّ كُلِّهِ، حَتَّى لَمْ يَدَعْ مَكَانًا فِيهِ إِلاَّ رَأَهُ، دُونَ أَنْ يُكْتَبَ لَهُ النِّجَاحُ فِي مَسْعَاهُ.

(١٩) السُّرَادِقُ الأَبْيَضُ

فَخَرَجَ إِلَى صَوِّءِ القَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يُفْتَشَّ صُرُوحَ المَدِينَةِ (قُصُورِهَا)، وَبُيُوتِهَا وَدُورِهَا، بِأَذَلِّ جَهْدٍ حِيلَتِهِ، لَعَلَّهُ يَهْتَدِي إِلَى طَلَبَتِهِ.

وَأَرْهَفَ سَمْعِيهِ (أُذُنِيهِ) وَأَدَارَ نَاضِرِيهِ، فَرَأَى سُرَادِقًا صَغِيرًا يَلُوحُ لِعَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَكَادُ — لِصِغَرِهِ — يَخْتَفِي عَنِ الأَبْصَارِ، لِمَا يَكْتَنِفُهُ مِنَ الأشْجَارِ. وَقَدْ ظَهَرَ فَجَاءً حِيَالَهُ، فَجَدَّدَ أَمَالَهُ، مُتَبَدِّيًا كَأَنَّهُ نَقْطَةٌ بَيضاءُ فِي رُقْعَةٍ سَوْداءَ.

فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ حَتَّى دَانَاهُ، وَتَلَطَّفَ فِي سَعْيِهِ لِيَضْمَنَ الفُوزَ فِي مَسْعَاهُ، حَتَّى إِذَا جَاسَ خِلَالَهُ رَأَى فِيهِ مَا أَدهَشَهُ وَهَالَهُ، وَأَبْصَرَ فَتَاةً رَائِعَةَ الجَمَالِ، نَادِرَةَ المِثَالِ؛ فَأَيَّقَنَ أَنَّهَا الأَمِيرَةَ، الَّتِي أَخَذَهَا الشَّيْطَانُ أُسِيرَةً.



فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْمَرْحُ وَالْحُبُورُ، وَكَادَ يَصْرُخُ مِنْ فَرْطِ السُّرُورِ. وَلَكِنَّهُ جَاهَدَ نَفْسَهُ حَتَّى لَا يَطْغَى عَلَيْهِ الْفَرْحُ فَيَعْوِقُهُ عَنِ النَّجَاحِ، وَيَفْتَضِحَ أَمْرُهُ لِأَعْدَائِهِ شَرًّا افْتِضَاحِ. وَقَدْ أَبْصَرَهَا رَاقِدَةً يُحِيطُ بِهَا حَارِسَاتُ مِنَ الْعِفْرِيتَاتِ، فَاسْتَمَعَ إِلَى أَنَّهَا الْخَافِتَةُ الْهَامِسَةُ، وَأَدْرَكَ مَا تُعَانِيهِ تِلْكَ الْأَسِيرَةُ التَّاعِسَةُ. وَخَشِيَ أَنْ يَنَادِيَهَا بِاسْمِهَا، فَتَسْتَيْقِظُ — مَدْعُورَةً — مِنْ نَوْمِهَا، وَرُبَّمَا هَبَّتْ صَارِخَةً مِنْ سُبَاتِهَا، فَندَهتْ حَارِسَاتِهَا.

فَاسْتَعَانَ بِالصَّبْرِ وَلَاذًا بِالصَّمَاتِ (الْتَجَأَ إِلَى السُّكَاتِ)، حَتَّى لَا تَقَعَ عَلَيْهِ أَعْيُنُ الْجِنِّيَّاتِ. وَتَرَقَّبَ فُرْصَةً تُمْكِنُهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَتُبْلِغُهُ الْمَرَامَ.

(٢٠) فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ

وَبَدَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ وَلَاحَ الْفَجْرِ، ثُمَّ أَشْرَقَتْ فَانْبَعَثَتِ الْأَبْوَاقُ تَدْوِي أَصْوَاتِهَا فِي جَنَابَاتِ الْقَصْرِ. وَسَمِعَ وَقَعَ أَقْدَامِ «رَقَانَا» — وَهُوَ قَادِمٌ إِلَى السُّرَادِقِ — وَأَبْصَرَهُ وَهُوَ يَدْنُو مِنَ الْأَمِيرَةِ، وَيُحَاوِرُهَا مُسْتَعِظِفًا يُلْقِي إِلَيْهَا مَعَاذِيرَهُ: «لَقَدْ رَجَوْتُكَ — وَمَا زِلْتُ أَرْجُوكَ إِلَى الْيَوْمِ — أَنْ تَنْسِي «رَامَا» وَتَقْبَلِي رَجَائِي رَاضِيَةً مَشْكُورَةً؛ لِتُصْبِحِي مَلَكَةً عَلَى عَرْشِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَهِيَ — كَمَا رَأَيْتَهَا — عَرُوسٌ بِلَادِ الدُّنْيَا. وَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ — عَلَى عَادَتِي فِي كُلِّ صَبَاحٍ — أَسْأَلُكَ: بِمَاذَا أَنْتِ قَاضِيَةٌ؟ أَغَاضِبُهُ عَلَيَّ أَمْ رَاضِيَةٌ؟»

فَأَجَابَتْهُ قَائِلَةً: «الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِلَى نَفْسِ الْحُرِّ الْكَرِيمِ، مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ عَدْرِ دَمِيمٍ، فَادْهَبْ عَنِّي أَيُّهَا الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ!»

فحاولَ أَنْ يَتَرَضَّاهَا، وَيَسْتَجْلِبَ صَفَحَهَا عَنْهُ وَرِضَاهَا. وَطَالَ بَيْنَهُمَا الْحِوَارُ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهَا غَيْرَ الْعِنَادِ وَالْإِصْرَارِ، فَخَرَجَ مِنَ السُّرَادِقِ غَاظِبًا، وَقَالَ يَتَوَعَّدُهَا لِإِعْنًا صَاحِبًا: «مَا دُمْتَ تَأْبِينِ إِلَّا تَمَادِيًا فِي غُرُورِكَ وَضَلَالِكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِرْغَامِ أَنْفِكَ وَإِذْلَالِكَ.»

(٢١) مُفَاجَأَةٌ سَارَةٌ

وَلَمْ يُفَارِقْهَا الشَّيْطَانُ، حَتَّى سَنَحَتِ الْفُرْصَةَ لِلزَّعِيمِ «هَانُومَانَ»؛ فَاسْرَّ إِلَى الْأَمِيرَةِ بِاسْمِ «رَامَا»، وَبَلَغَهَا عَنْهُ تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَشَوْقًا وَهَيَامًا، وَأَفْضَى إِلَيْهَا بِمَا قَالَهُ فِي هَمْسٍ خَفِيِّ، وَبَيَانٍ جَلِيٍّ.

فَانْتَفَضَتِ الْأَمِيرَةُ مَدْهُوشَةً مِمَّا سَمِعَتْ، وَتَلَفَّتْ حَوْلَهَا وَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ إِلَّا قِرْدًا صَغِيرًا أَمَامَهَا؛ فَأَيَّقَنْتْ أَنَّهَا كَانَتْ تُنَاجِي أَحْلَامَهَا.



فَهَمَسَ بِاسْمِهِ — مَرَّةً أُخْرَى — فِي صَوْتِ حَفِيٍّ، وَأَظْهَرَ لَهَا خَاتَمَهُ الذَّهَبِيَّ، وَقَدْ نُقِشَ فِيهِ اسْمُهُ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ رَسْمُهُ، فَكَادَ يُعْمَى عَلَيْهَا مِنْ فَرْطِ الدَّهْشَةِ وَالسَّرورِ، وَالْبُهْجَةِ وَالْحُبُورِ. وَلَكِنَّ «هَانومانَ» تَوَسَّلَ إِلَيْهَا يَرْجُوها، وَإِلَى طَرِيقِ الْحَزْمِ يَدْعُوها، أَنْ تَعْتَصِمَ بِشِجَاعَتِهَا وَصَبْرِها، حَتَّى تُحْفِي — عَنْ حَارِسَاتِها — حَقِيقَةَ أَمْرِها، وَإِلَّا حَبِطَتْ (بَطَلَتْ) حُطَّتْ، وَأُنْكَشِفَتْ حِيلَتُها. فَتَمَالَكَتِ الْأَمِيرَةُ، وَبَدَلَتْ غَايَةَ جُهْدِها، فِي كِتْمَانِ وَجْدِها، وَأَفْلَحَتْ فِي التَّغْلِبِ عَلَى دَهْشِها، ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ اسْتَعَادَتْ رِبَاطَةَ جَأْشِها. وَلَقَدْ فَطِنَتِ الْحَارِسَاتُ إِلَى وُجُودِ ذَلِكَ الْفَرْدِ الصَّغِيرِ، وَلَكِنَّهُنَّ لَمْ يَحْسَبْنَ — حِينَئِذٍ — أَنَّ أَمْرَهُ جَلِيلٌ خَطِيرٌ.

وَأَنْتَهَرَ «هَانومانُ» فُرْصَةَ سَانِحَةً؛ فَأَفْضَى إِلَى الْأَمِيرَةِ (أَخْبَرَهَا) أَنَّهُ عَائِدٌ إِلَيْها بَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ، لِيُعِيدَها إِلَى حُرِّيَّتِها بَعْدَ مَا كَابَدَتْهُ فِي ذَلِكَ الْأَسْرِ الطَّوِيلِ، فَقَالَتْ لَهُ تَحَدُّرُهُ، وَبِرَّأِها تَبَصَّرُهُ: «لَا تَتَهَاوَنَ فِي إِحْضَارِ جَيْشٍ عَظِيمٍ، لِقَهْرِ ذَلِكَ الْإِبْلِيسِ الرَّجِيمِ، وَإِلَّا كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْهَزِيمَةُ وَالْخِذْلَانُ، وَظَفَرَ بِنَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ.»

فَقَالَ «هَانومانُ»: «اطْمَئِنِّي بِالْأَمْرِ، وَسَاعِدِي حَالًا؛ فَإِنَّ الْفَوْزَ مِنَّا مَكْفُولٌ قَرِيبٌ، وَلِكُلِّ مُجْتَهِدٍ — مِنْ سَعْيِهِ — نَصِيبٌ.»

(٢٢) نَوْرَةٌ مُفَاجِئَةٌ

وَتَمَّ وَدَعَا وَقَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ مَدِينَةِ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْها بِمَا لَدَيْهِ مِنْ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ، بَعْدَ أَنْ يُحْكِمَ حُطَّتْ، وَيُكْمِلَ قُوَّتَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَرَّ بِهِ حَاطِرٌ جَدِيدٌ، أذْكَرُهُ بِمَا لَقِيَتْهُ الْأَمِيرَةُ فِي ذَلِكَ الْمَنْفَى الْبَعِيدِ، مِنْ فُنُونِ الشَّقَاءِ وَالتَّشْرِيدِ، وَضُرُوبِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ، فَاثْمَلَّتْ نَفْسُهُ حَقْدًا عَلَى أَعْدَائِهِ، وَأَذْهَلَهُ عَظِيمٌ إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ، وَصَادِقُ حُبِّهِ — لِصَاحِبِهِ — وَوَلَائِهِ؛ فَسَيَّ كُلَّ شَيْءٍ غَيْرِ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِذْلَالِ كِبْرِيائِهِ، فَرَجَعَ إِلَى حَجْمِهِ الطَّبِيعِيِّ الْأَوَّلِ دُونَ أَنْ يَتَبَصَّرَ فِي الْعَاقِبَةِ، وَانْدَفَعَتْ نَفْسُهُ ثَائِرَةً غَاضِبَةً؛ فَاقْتَلَعَ الشَّجَرَ وَالصَّخْرَ، وَقَذَفَ بِها عَلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ؛ فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ الْعَفَارِتُ وَاسْتَنْفَتَتْ زُرَافَاتِ (أَحَاطَتْ بِهِ جَمَاعَاتِ). وَحِينَئِذٍ أَدْرَكَ مَا جَرَّهُ إِلَيْهِ فَرْطُ تَهَوُّرِهِ، وَقَلَّةُ احْتِيَاظِهِ وَتَبَصُّرِهِ، وَعَرَفَ حَطَأَهُ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى عَدُوِّهِ قَبْلَ أَنْ يَهْبِيَّ لِلْأَمْرِ عَدَّتَهُ، وَيُعَدِّ لِلنَّصْرِ حُطَّتَهُ.

وَلَمْ يَسْتَطِعِ النُّكُوصَ عَلَى عَقْبَيْهِ بَعْدَ أَنْ افْتَضَحَ — لِأَعْدَائِهِ — أَمْرُهُ، وَدَاعَ لَهُمْ سِرُّهُ؛ فَاقْتَلَعَ مِنَ الْقَصْرِ عَمُودًا مِنَ الرُّخَامِ مُقْتَحِمًا بِهِ ذَلِكَ الرُّخَامَ لِيُدْفَعَ كَيْدَهُمْ، وَيُفَرِّقَ شَمْلَهُمْ.

ثُمَّ قَفَزَ إِلَى سَقْفِ الْقَصْرِ وَلَوَّحَ بِهِ صَائِحًا مُهَدِّدًا، مُنْذِرًا مُتَوَعِّدًا: «عَاشَ الْأَمِيرُ «رَامَا» سَيِّدُ الشُّجْعَانِ، وَهَازِمُ الْفُرْسَانِ، وَخَسِئْتُمْ يَا أَنْذَالَ الْعَفَارِيثِ وَحُثَالَةَ الْجَانِّ، وَحَانَ مَصْرَعُ شَيْطَانِكُمُ الْجَبَانِ، عَلَى يَدَيَّ «رَامَا» وَ«هَانُومَانَ».

ثُمَّ قَفَزَ — فِي الْهَوَاءِ — قَفْرَةً عَاجِلَةً، بِسُرْعَةٍ هَائِلَةٍ، وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَنَّهُ بِالِغِ بَقَفْرَتِهِ النَّجَاةَ، وَمُفْلِتٌ بِوَثْبَتِهِ مِنْ كَيْدِ عِدَائِهِ.

وَلَقَدْ صَحَّ ظَنُّهُ وَتَقْدِيرُهُ، وَصَدَقَ رَأْيُهُ وَتَدْبِيرُهُ، لَوْ أَخْطَأَهُ السَّهْمُ الَّذِي صَوَّبَهُ إِلَيْهِ عَفْرِيْتُ حَبِيثٌ مِنْ أَعْدَائِهِ؛ فَهَوَى بِهِ مِنْ سَمَاءِ عَلَيَائِهِ، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ عَفَارِيْتُ الْجَزِيرَةِ نَاقِمِينَ، وَصَاحُوا بِهِ مُتَوَعِّدِينَ شَامِتِينَ.

(٢٣) عِقَابُ النَّائِرِ

وَكَانَ جُرْحُهُ خَفِيفًا، وَلَكِنَّهُ — عَلَى ذَلِكَ — عَوَّقَهُ عَنِ بُلُوغِ أَمَانِيهِ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ وَمُحَارِبِيهِ. فَأَوْتَقُوهُ بِالْحِبَالِ، وَقَيَّدُوهُ فِي الْأَغْلَالِ، ثُمَّ جَاءُوا بِهِ إِلَى شَيْطَانِهِمْ؛ لِيَحْكُمَ فِيهِ بِمَا يَرَأَهُ، وَفَقَّ نَزْعَاتِهِ وَهَوَاهُ، فَأَمَرَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُحْرِقُوا بِالنَّارِ جِسْمَ الْعَدُوِّ الْهَاجِمِ — جُزْءًا بَعْدَ جُزْءٍ — حَتَّى لَا يَمُوتَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَلْقَى مَا بِهِ مِنْ نِقْمَةٍ وَتَنْكِيلٍ، وَتَعْذِيبٍ طَوِيلٍ. فَاسْرَعُوا إِلَى لَفَائِفِ كَبِيرَةٍ مِنَ الْقَطَنِ فَأَحْضَرُواهَا، بَعْدَ أَنْ غَمَسُوهَا فِي الزَّيْتِ وَأَادَرُوهَا عَلَى ذَيْلِ الرَّعِيمِ وَرَبَطُوهَا. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَأَشْعَلَ فِي ذَيْلِهِ النَّارَ.

فَلَمَّا شَعَرَ بِحَرَارَتِهَا، وَأَحْسَسَ وَطْأَةَ شِدَّتِهَا، أَيْقَنَ أَنَّهَا مُنْتَقَلَةٌ مِنْ ذَيْلِهِ إِلَى جِسْمِهِ، وَعَرَفَ أَنَّهُ — لَا مَحَالَةَ — هَالِكٌ فَنِدِمَ عَلَى تَعَجُّلِهِ فِي الْإِقْدَامِ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ أُنَاتَهُ (حِلْمَهُ وَصَبْرَهُ) وَيَتَعَرَّفَ طَرِيقَهُ وَغَايَتَهُ، وَأَيَقِنَ أَنَّ تَسْرِعَهُ قَدْ أَفْقَدَهُ فُرْصَةَ لِتَخْلِيصِ الْأَمِيرَةِ الْمُنْفِيَّةِ.

(٢٤) انْتِقَامُ النَّارِ

على أَنَّ الكَرِيمَ الصَّادِقَ الوَفَاءِ، إِذَا فَقَدَ أَنْصَارَهُ فِي الأَرْضِ لَمْ يَعدَمِ نَصِيرًا لَهُ مِنْ عَالَمِ السَّمَاءِ، فَقَدِ اجْتَمَعَتِ السُّحُبُ وَأَنْزَلَتْ مَاءَهَا فَأَخْمَدَتِ اللَّهَبَ، وَيَسَّرَتْ لَهُ سُبُلَ الهَرَبِ، بَعْدَ أَنْ أَحْرَقَتِ النَّارُ جِبَالَهُ، وَفَكَّتْ عَنْهُ أَغْلَالَهُ.



ثُمَّ كَفَّ المَطَرُ فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ هَمَى، وَبَرَدَ جِسْمُهُ شَيْئًا، وَاطْمَأَنَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ نَفْسُهُ، وَلَمْ يَبْقَ مُشْتَعِلًا — مِنْ ذَنْبِهِ — إِلَّا رَأْسُهُ. فَاسْرَعَ يَعدُو جَرِيئًا مِقْدَامًا، مُحَرِّكًا ذَنْبَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَخَلْفًا وَأَمَامًا؛ لِيشْعَلَ النَّارَ فِي كُلِّ مَا يَلْقَاهُ، وَيُدْمِرُ القَصْرَ بِمَا حَوَاهُ. وَاسْتَوْلَتْ عَلَى العَفَارِثِ، حَيْرَةً مُبَاغِتَّةً، وَتَمَلَّكَتْهُمْ هَبَّةً مِنَ الذُّعْرِ عاصِفَةً، وَرَهْبَةً مِنَ الرَّعْبِ جَارِقَةً، بَعْدَ أَنْ مَرَّتْ بِهِمْ تِلْكَ الأَحْدَاثُ القاصِصَةُ، فِي مِثْلِ لَمَحَةِ البُرْقِ الخاطِفةِ.

ورَأُوا النَّارَ تَشْتَعِلُ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ، وَمَا جَاوَرَهُ مِنَ الدُّورِ، فَتَمَلَّكَهُمُ الدُّعْرُ وَالنَّهْلَعُ، وَشَمِلَهُمُ الرُّعْبُ وَالْفَزَعُ، وَعَاقَهُمُ عَنِ اللَّحَاقِ بَعْدُوهُمْ مَا عَمَّرَهُمْ مِنَ الْحَرَجِ وَالضِّيْقِ، وَمَا بَهَرَ أَعْيُنَهُمْ مِنْ مَنَظَرِ الْحَرِيقِ.

(٢٥) عَلَى الشَّاطِئِ

وَأَسْرَعَ «هانومان» إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَأَطْفَأَ ذَيْلَهُ الْمُشْتَعِلَ فِي أُمُوجِهِ الصَّاخِبَةِ، مُعْتَزِمًا أَنْ يَبْلُغَ الشَّاطِئِ الْآخَرَ بِقَفْزَةٍ وَاثِبَةٍ. ثُمَّ رَدَّهُ عَنْ عَزْمِهِ خَوْفُهُ عَلَى الْأَمِيرَةِ أَنْ تَبْلُغَ النَّارُ مَاوَاهَا، وَرَغِبَتُهُ فِي أَنْ يُجَنِّبَهَا حَظَرَهَا وَأَذَاهَا، فَأَسْرَعَ إِلَى سُرَادِقِهَا فَرَأَاهَا بَعِيدَةً عَنْ مَنْطِقَةِ اللَّهَبِ، أَمَنَةً مِنَ الضَّرِّ وَالْعَطَبِ. فَعَادَ يُوسِّيها (يُصَبِّرُها وَيُعَزِّيها) مُتَوَدِّدًا إِلَيْها، ثُمَّ وَدَّعَها بَعْدَ أَنْ أَطْمَأَنَّ عَلَيْها، وَرَجَعَ عَلَى الْفُورِ، إِلَى الْبَحْرِ. وَمَا لَبِثَ أَنْ كَانَ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ، فِي لَمَحَةٍ خَاطِرٍ، بِوَثْبَةٍ عَاجِلَةٍ، وَقَفْزَةٍ طَائِلَةٍ؛ فَبَلَغَهُ سَالِمًا، وَرَجَعَ أَدْرَاجَهُ (عَادَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ) غَانِمًا، قَاصِدًا إِلَى صَفِيهِ مِيَمًا، لِيُحَدِّثَهُ بِمَا لَقِيَهُ — فِي طَرِيقِهِ — مِنْ فَوَادِحِ الْأَخْطَارِ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُ مِنْ بَدَائِعِ الْأَنْبَاءِ وَالْأَخْبَارِ، وَعَجَائِبِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَسْمَارِ.

الفصل الرابع

آخِرَةُ الشَّيْطَانِ

(١) جَيْشُ النَّجْدَةِ



وَعَادَ «هَانومانُ» إِلَى مَمْلَكَةِ «كِشْكِنْدَةَ» بِمِثْلِ سُرْعَةِ الرِّيحِ. وَقَدْ فَرِحَ «راما» بِعَوْدَتِهِ فَرَحًا لَا يُوصَفُ، وَعَادَتِ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى قَلْبِهِ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ «سَيْتَا» لَا تَزَالُ سَالِمَةً مِنَ الْأَذَى. وَطَلَبَ إِلَى صَدِيقِهِ الْوَفِيِّ «هَانومانَ» أَنْ يَصْحَبَهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ النَّائِيَةِ لِتَخْلِيصِهَا مِنَ الْأَسْرِ. فَقَالَ لَهُ: «مَا جِئْتُ إِلَّا لِهَذَا، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ أَنَّنَا سَنَلْقَى — فِي سَبِيلِ تَخْلِيصِهَا — أَهْوَالًا وَأَخْطَارًا، لَا أَعْلَمُ كَيْفَ نَنجُو مِنْهَا. وَمَا أَدْرِي: كَيْفَ يَسْتَطِيعُ جَيْشُنَا أَنْ يَجْتَازَ الْبَحْرَ إِلَى جَزِيرَةِ «لُنْكَا»؟ وَلَكِنْ لَا مَعْنَى لِلْيَأْسِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.»

فَقَالَ لَهُ «راما»: «لَا سَبِيلَ إِلَى دَرْكِ الْعَظَائِمِ وَنَيْلِ الْغَايَاتِ، إِلَّا بِالْتَّعَرُّضِ لِلْمَهَالِكِ وَأَقْتِحَامِ الْعَقَبَاتِ. وَمَتَى صَحَّتِ الْعَزِيمَةُ وَحَالَفَهَا التَّوْفِيقُ، ذَلَّلَا — فِي طَرِيقِهِمَا — الْمُحَالَ، وَتَحَقَّقَ بِهِمَا أَبْعَدُ الْأَمَالِ.»

وكانَ الْمَلِكُ «سُجْرِيْقًا» شَدِيدَ الرَّغْبَةِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى أَعْدَائِهِ الْقَدَمَاءِ سُكَّانِ جَزِيرَةِ «لُنْكَا»، فَأَعَدَّ لَهُمْ جَيْشًا ضَخْمًا — مِنْ قَبَائِلِ «الْفَانَارِ» — مُؤَلَّفًا مِنْ عِدَّةِ مَلَائِيْنِ، وَأَمْرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوا «راما» طَاعَةً عَمِيَاءَ.

وَسَارَ الْجَيْشُ — وَفِي مُقَدِّمَتِهِ «راما»، وَأَخُوهُ «لَكْشَمَانُ»، وَصَفِيُّهُ الْحَمِيمُ «هانومان» — حَتَّى بَلَغُوا الشَّاطِئَ الْجَنُوبِيَّ، فَلَمَّا رَأَوْا سَعَةَ الْبَحْرِ، وَهِيَاجَ أَمْوَاغِ الصَّاحِبَةِ، أُيْقِنَ «راما» أَنَّ نَجَاةَ «سَيْتَا» أَبْعَدُ مِنَ النَّجْمِ، وَخَشِيَ أَنْ تَكُونَ مُحَاوَلَتُهُ لِإِنْقَاذِهَا أَشْبَهَ بِمُحَاوَلَةِ «سَمِّياتِي»: ذَلِكَ النَّسْرَ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُحَلِّقَ فَوْقَ الشَّمْسِ، فَتَقَطَّعَتْ — دُونَ غَايَتِهِ — الْأَسْبَابَ، وَعَادَ إِلَى عُنْشِهِ وَهُوَ أَخِيْبُ الْخِيَابِ.

(٢) مُؤْتَمَرُ الْعَفَارِيْتَةِ

وَلَكِنَّ الْقَلْبَ إِذَا عَمَرَهُ الْإِيْمَانُ، وَمَلَأَهُ الْيَقِيْنُ وَالْإِطْمِيْنَانُ، حَالَفَتْهُ أَسْبَابُ مُوقَفَةٍ، وَفَتَحَ لَهُ الْإِحْلَاصُ أَبْوَابًا مُغْلَقَةً، وَرُبَّمَا جَاءَهُ النَّجَاحُ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ، مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسِبُ. وَهَكَذَا كَانَ، وَإِلَيْكَ الْبَيَانُ: لَقَدْ اسْتَوَلَى الدُّعْرُ وَالْفَرْعُ عَلَى أَهْلِ جَزِيرَةِ «لُنْكَا»، بَعْدَ مَا لَقُوهُ — عَلَى يَدِ عَدُوِّهِمْ «هانومان» — مِنْ عَذَابِ الْحَرِيْقِ وَالتَّخْرِيْبِ. وَفَرَّعَهُمْ أَنْ يَرَوْا أَنَّ وَاحِدًا بِمُفْرَدِهِ قَدْ اقْتَحَمَ عَلَيْهِمْ مَدِيْنَتَهُمُ الْحَصِيْنَةَ، وَأَنْزَلَ بِهِمْ كُلَّ هَذِهِ النَّكْبَاتِ، فَكَيْفَ إِذَا هَبَطُوا إِلَيْهِمْ فِي جُمُوعِهِمْ الَّتِي لَا تُحْصَى!

وَأَيَّقَنَ مَلِكُ الشَّيْطَانِيْنَ أَنَّ «راما» و«هانومان» — بَعْدَ أَنْ تَعَاوَنَا عَلَى مُحَارَبَتِهِ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمَا عَلَى تَخْلِيصِ أَسِيرَتِهِ — سَيَبْلُغَانِ مَا أَرَادَاهُ، وَلَنْ يَعُوقَهُمَا شَيْءٌ عَنِ بُلُوغِ مَا طَلَبَاهُ.

فَعَقَدَ مُؤْتَمَرًا مِنْ مَجْلِسِ الشُّورَى، وَكِبَارِ الْقَادَةِ، وَأَعْلَامِ الْعَفَارِيْتِ وَرُزَمَاءِ الشَّيْطَانِيْنَ؛ لِيُعِدُّوا خُطَّةَ الدَّفَاعِ عَنِ الْمَدِيْنَةِ، وَيَحْمُوهَا شَرَّ أَعْدَائِهِمُ الْمُغْيِرِيْنَ، فَتَشَعَّبَتِ الْأَرَاءُ، وَتَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ، وَرَأَى بَعْضُ رُؤَسَاءِ الْوُفُودِ أَنَّ يَبْدَأَ الْمَلِكُ بِقَتْلِ «سَيْتَا»؛ لِأَنَّهَا جَلَبَتِ عَلَيْهِمْ كُلَّ هَذِهِ الْمَصَائِبِ، ثُمَّ يُعَدُّ جَيْشَهُ الْعَظِيْمَ لِيَلْقَى بِهِ الْعَدُوَّ الْمُحَارِبِ. وَاقْتَرَحَ آخَرُونَ أَنَّ يُرْجَى (يُؤَخَّرَ) قَتْلُهَا حَتَّى يَتِمَّ لَهُ الظَّفَرُ. وَأَشَارَ غَيْرُهُمْ بِمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ النَّظَرِ.

(٣) أَمِيرُ التَّوَابِعِ

وطالَ بَيْنَهُمُ الْأَخْذُ وَالرَّدُّ، حَتَّى تَجَاوَزُوا الْحَدَّ. ثُمَّ وَقَفَ «قَبْهَيْشَانُ» أَمِيرُ الْعَفَارِيَةِ — وَهُوَ الشَّقِيقُ الْأَصْغَرُ لِمَلِكِ الشَّيَاطِينِ — فَقَالَ: «لَقَدْ تَعَبْنَا مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَى الْوَادِعَيْنِ، وَالكَيْدِ لِلْأَمْنَيْنِ. وَقَدْ جَرَّ عَلَيْنَا حُكْمُ «رَقَانَا» كَثِيرًا مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْمَصَائِبِ، عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ. وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ نُطَلِّقَ سَرَاخَ «سَيْتَا» وَنُعِيدَهَا إِلَى زَوْجِهَا، فَنُرِيحَ مِنْ قَبَائِلِ «الْقَانَارِ» وَنَسْتَرِيحَ، وَنَحْقِنَ بَيْنَنَا الدَّمَاءَ، وَنُؤَمِّنَ بِلَادَنَا غَارَاتِ الْأَعْدَاءِ.»

فَغَضِبَ «رَقَانَا» مِنْ اقْتِرَاحِ أُخِيهِ أَشَدَّ الْغَضَبِ، وَاشْتَدَّ النِّزَاعُ بَيْنَهُمَا، فَلَمَّا ظَهَرَ لِلْأَمِيرِ «قَبْهَيْشَانُ» إِصْرَارُ أُخِيهِ، وَعِنَادُهُ وَتَمَادِيهِ، تَرَكَهُ نَائِرًا، وَاجْتَازَ الْبَحْرَ طَائِرًا، حَتَّى بَلَغَ جَيْشَ أَعْدَائِهِ، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُخِيهِ مِنَ الْمَجَادَلَةِ، وَعَاهَدَهُمْ عَلَى أَنْ يُعَاوَنَهُمْ فِي تَحْقِيقِ طَلِبَتِهِمُ الْعَادِلَةَ.

(٤) الْقَنْطَرَةُ



وَقَدْ حَسَبُوهُ — أَوَّلَ الْأَمْرِ — جَاسُوسًا أَوْفَدَهُ الْأَعْدَاءُ إِلَيْهِمْ، لِيَكُونَ عَيْنًا عَلَيْهِمْ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ تَبَيَّنُوا صِدْقَهُ وَإِخْلَاصَهُ لَهُمْ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِبِنَاءِ قَنْطَرَةٍ يَعْزُرُونَ عَلَيْهَا الْبَحْرَ. وَكَانُوا يُعِدُّونَ ذَلِكَ مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ؛ فَقَالَ لَهُمْ: «يَجِبُ أَنْ تَتَنَاصَرُوا عَلَى جَمْعِ مَا

يَسْعُكُمْ مِنْ جُدُوعِ الشَّجَرِ وَقَطَعِ الصَّخْرِ، ثُمَّ تَلْقُوا بِهَا فِي الْبَحْرِ، وَجَيْشُكُمْ مَلَائِيْنٌ مِنَ الْجُنُودِ، وَلَنْ تَقْفَ عَقْبَهُ فِي سَبِيلٍ مَا يُرِيدُ.»
 وَقَدْ رَحَّبُوا بِهَذِهِ الْفِكْرَةَ — عَلَى صُعُوبَتِهَا — وَرَاحُوا يَقْتَلِعُونَ الْجُدُوعَ وَيَكْسِرُونَ الصُّخُورَ، وَيَقْدِفُونَ بِهَا فِي الْبَحْرِ، حَتَّى أَمْتَمُوا الْقَنْطَرَةَ بَعْدَ حَمْسَةِ أَيَّامٍ.

(٥) الْمَعْرَكَةُ الْحَاسِمَةُ

ثُمَّ عَبَرُوا الْجِسْرَ — فِي أثنَاءِ اللَّيْلِ — حَتَّى بَلَّغُوا شاطئَ الْجَزِيرَةِ آمِنِينَ؛ فَأَعْدُوا جُمُوعَهُمْ وَنَصَبُوا خِيَامَهُمْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَتَاهَبُوا لِمَنَاجِزَةِ أَعْدَائِهِمْ.
 وَرَأَى الشَّيْطَانُ — وَهُوَ فِي ذِرْوَةِ التُّرُجِ الْعَالِي مِنْ قَصْرِه — جُمُوعَ الْعَدُوِّ تَقْتَرِبُ؛ فَامْتَلَأَ قَلْبُهُ رُعبًا وَفَرَعًا، وَأَسْرَعَ إِلَى أَتْبَاعِهِ فَأَيَّقَظَهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ.
 وَنُفِخَتْ أَبْواقُ الْحَرْبِ، وَتَاهَبَ جَيْشُ «رَقَانَا» لِمُلَاقَاةِ الْمُعْجِرِينَ، وَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ الْكَبِيرِ.

وَاشْتَبَكَ الْجَيْشَانِ فِي الْحَرْبِ. وَكَانَتْ جُنُودُ «رَامَا» تَحْمِلُ مَعَهَا الْأَحْجَارَ، وَجُدُوعَ الْأَشْجَارِ، فَتَقْدِفُ بِهَا أَعْدَاءَهَا؛ فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ أُلُوفًا لَا تُحصى، وَقَدَفَهُمُ الْعَفَارِيْتُ وَالْمَرْدَةُ بِسَهَامِهِمْ، فَقَتَلُوا وَجَرَحُوا مِنْهُمْ عَدَدًا كَبِيرًا.

وَكَانَ «لَكْشْمَانُ» قَدْ أُصِيبَ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ بِجُرْحٍ خَطِيرٍ، وَلَكِنَّ «هَانُومَانَ» أَسْرَعَ إِلَى شِفَائِهِ مِنْهُ بِمَا وَضَعَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْشَابِ الْحَاسِمَةِ الشَّافِيَةِ؛ فَكَانَتْ بَلَسْمًا لِجِرَاحِهِ الْبَلِيغَةِ الدَّامِيَةِ. وَلَمْ تُشْرِقْ شَمْسُ الْيَوْمِ التَّالِي حَتَّى اسْتَرَدَّتْ قُوَّتَهُ، وَعَادَ إِلَى الْمَعْرَكَةِ ثَانِيَةً إِلَى جَانِبِ أَخِيهِ وَأَعْوَانِهِ مِنْ رُوسَاءِ «الْقَانَارِ».

وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطَّاحِنَةُ أَيَّامًا وَلِيَالِيًا طَوَالًا. وَرَجَحَتْ كِفَّةَ الشَّيَاطِينِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ — بِادِيِ الْأَمْرِ — وَلَكِنَّ بَرَاعَةَ النَّابِلِ الْعَظِيمِ «رَامَا» فِي تَسْيِيدِ نِبَالِهِ الْمَسْحُورَةِ إِلَى قَادَةِ أَعْدَائِهِ وَرُوسَاءِ جَيْشِهِمْ قَدْ رَجَحَتْ كِفَّتَهُ، وَأَظْهَرَتْ فَوْقَهُ (فَضْلَهُ وَرُجْحَانَهُ) عَلَى أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَلَّ يَنْبُلُهُمْ (يَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ) حَتَّى شَتَّتَ شَمْلَهُمْ (فَرَّقَ جَمْعَهُمْ)، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَمَامُهُمْ عَيْرُ الْفِرَارِ (الْهَرَبِ) وَالْإِسْتِسْلَامِ.

(٦) أَمِيرُ الزَّوَابِعِ

وَلَمَّا أَبْصَرَ الشَّيْطَانُ «رَقَانًا» بَوَادِرَ الْخِذْلَانِ، وَاتَّقَنَ بِالْهَزِيمَةِ وَالْخُسْرَانِ، لَمْ يَرَ بُدًّا مِنْ أَنْ يَرْمِيَ — عَنْ قَوْسِهِ — آخِرَ سَهْمٍ فِي كِنَانَتِهِ (جُعْبَةَ سِهَامِهِ)، وَيُوقِظَ أَخَاهُ أَمِيرَ الزَّوَابِعِ؛ لِيَكْفَلَ لَهُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِ.



وكان هذا الأمير الضخم يُسَمَّى «كَمْبَهَا كَرْنَا»، وَيُلَقَّبُ بِالْعِمْلَاقِ الْأَكْبَرِ، وَيُكْنَى «أَبَا زَوْبَعَةَ». وَهُوَ أَقْوَى شَيَاطِينِ عَصْرِهِ قَاطِبَةً، وَأُضْحَمُهُمْ جُنَّةً، وَأَطْوَلُهُمْ قَامَةً، وَأَقْسَاهُمْ قَلْبًا.

وكان «رَقَانًا» يُبْغِضُهُ وَلَا يُطِيقُ أَنْ يَرَاهُ، فَهُوَ — إِذَا مَشَى — ضَاقَتْ بِهِ شَوَارِعُ الْمَدِينَةِ الرَّحْبَةِ، وَزُلْزِلَتْ — تَحْتَ قَدَمَيْهِ — الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ. وَإِذَا أَكَلَ لَمْ يَكْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الطَّعَامِ، وَظَلَّ يَأْكُلُ بِلَا انْقِطَاعٍ، دُونَ أَنْ يَشْبَعَ، فَلَا عَجَبَ إِذَا أَرَعَمُوهُ عَلَى النَّوْمِ طَوَالَ

أَيَّامِ السَّنَةِ، وَلَمْ يَسْمَحُوا لَهُ بِالْيَقَظَةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ اثْنَتَيْنِ فِي كُلِّ عَامٍ؛ لِيَتَنَسَّمَ — فِي خِلَالِ سَاعِمَا — قَلِيلًا مِنْ حُرِّيَّتِهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى نَوْمَتِهِ.
وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْيَوْمَ مَوْعِدَ إِيقَاضِهِ مِنْ سُبَاتِهِ (نَوْمِهِ) الْعَمِيقِ، وَلَكِنَّ «رَقَانًا» لَجَأَ إِلَى ذَلِكَ مُضْطَرًّا لِمَا أَلَمَّ بِهِ مِنَ الْحَرَجِ وَالضَّيْقِ.

(٧) «أَبُو زَوْبَعَةَ»

وَلَمْ يَكُنْ إِيقَاضَ الْمَارِدِ الْهَائِلِ هَيئًا مَيَسُورًا؛ فَقَدِ اجْتَمَعَ جُمُهُورُ الْعَفَارَتَةِ لِهَذِهِ الْغَايَةِ، وَظَلُّوا يُصَفِّقُونَ بِأَيْدِيهِمْ، وَيُدْبِدِبُونَ بِأَرْجُلِهِمْ، وَيَصِيحُونَ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ، وَيَضْرِبُونَ دُفُوفَهُمْ، وَيَنْفُخُونَ — عَلَى أُنْدَانِيهِ — فِي أَبْوَاقِهِمْ، دُونَ جَدْوَى، فَلَمْ يَرَوْا بَدَأًا مِنَ الْاِلْتِجَاءِ إِلَى وَسِيلَةٍ أُخْرَى لِإِيقَاضِهِ مِنَ الْكَرَى (النَّوْمِ)؛ فَأَحْضَرُوا طَائِفَةً مِنَ الْأَقْيَالِ وَالْجِمَالِ، ثُمَّ ضَرَبُوهَا بِعَصِيهِمْ وَسِيَاطِهِمْ، فَصَاحَتْ مُزْمَجَرَّةً مِنَ الْأَلَمِّ، فَلَمْ يُوقِظْهُ صِيَاحُهَا الْعَالِي، وَلَمْ يُفِيقْ مِنْ كَرَاهِ (نَوْمِهِ)، إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَشَتْ تِلْكَ الْجِمَالُ وَالْقَيْلَةُ عَلَى جَسَدِهِ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ قَلِيلًا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ فِي صَوْتٍ مِنْ يَتَهَيَّأُ لِطَرْدِ النَّوْمِ عَنْ جَفَنِيهِ: «لِمَاذَا تُوقِظُونِي قَبْلَ أَنْ يَحِينَ الْمَوْعِدُ؟»

فَقَصُّوا عَلَيْهِ — مَوْجِزِينَ — سَبَبَ إِزْعَاجِهِمْ إِيَّاهُ، وَحَرَاجَ الْمَازِقِ الَّذِي يَتَعَرَّضُونَ لَهُ، إِذَا لَمْ يَتَوَلَّ قِيَادَتَهُمْ، وَيَكْفُلَ لَهُمُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمُ الْأَلْدَاءِ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ أَخِي قَدْ أَخْطَأَ — بِلَا شَكٍّ — فِي إِغْضَابِ «رَامَا» وَاسْتِتَارَةِ قَبَائِلِ «الْقَانَارِ»، وَلَنْ أَنْصِرَهُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الْخَاسِرَةِ.»

(٨) سَهُمُ الْمَوْتِ

وَلَكِنَّهُمْ لَجَأُوا إِلَى الْحِيلَةِ، وَظَلُّوا يَسْتَعْطِفُونَهُ وَيَضْرَعُونَ إِلَيْهِ أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ. وَأَحْضَرُوا لَهُ أَكْدَاسًا عَظِيمَةً — مِنْ طَيِّبَاتِ اللَّحْمِ — وَخَوَابِي (أَنْبِيَّةَ كَبِيرَةً) مَمْلُوءَةً بِلَدَائِدِ الْأَشْرَبَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، حَتَّى انْتَعَشَ، وَتَطَلَّقَتْ أَسَارِيرُهُ، وَهَشَّتْ نَفْسُهُ إِلَى الْقِتَالِ، فَنَهَضَ لِنَصْرَةِ أَخِيهِ.

وما رَأَتْ قَبَائِلُ «الْقَانَارِ» «أَبَا زَوْبَعَةَ» حَتَّى هَالَهُمْ مَا رَأَوْهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَارِدِ الضَّخْمِ،
وَأَسْتَوَلَى عَلَيْهِمُ الرُّعْبُ، وَدَبَّ فِيهِمْ دَيْبُ الْهَزِيمَةِ. وَلَكِنَّ «رَامَا» — وَهُوَ أَبْرَعُ نَبَالٍ فِي
عَصْرِهِ — أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبٍ لَا يَعْرِفُ الْخَوْفَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَرَمَى — عَنْ قَوْسِهِ — سَهْمًا
مَسْحُورًا مِنْ تِلْكَ السَّهَامِ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ النَّاسُكَ حِينَ لَقِيَهُ فِي غَابَةِ الشَّيَاطِينِ، فَنفَذَ
السَّهْمُ إِلَى قَلْبِ الْمَارِدِ الْجَبَّارِ، فَأَصْمَاهُ (أَهْلَكَهُ وَأَرْدَاهُ)، فَهَوَى بِجَنَّتِهِ — إِلَى الْأَرْضِ —
عَلَى جُمُهورٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعَفَارِيثِ الْمُحِيطِينَ بِهِ، فَسَحَقَهُمْ سَحَقًا.
وَأَيَقَنَ — حِينئذٍ — أَبْنَاءُ «الْقَانَارِ» أَنَّ النَّصْرَ قَدْ حَالَفَهُمْ بَعْدَ مَوْتِ «أَبِي زَوْبَعَةَ»
ذَلِكَ الْمَارِدِ الْجَبَّارِ.

(٩) مَصْرَعُ «رَقَانَا»

وَلَمَّا أَبْصَرَ مَلِكُ الشَّيَاطِينِ مَصْرَعَ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ غَيْظًا وَحَقْدًا عَلَى «رَامَا»؛
فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ مُحَاوِلًا قَتْلَهُ، كَلَّفَهُ ذَلِكَ مَا كَلَّفَهُ. وَرَأَهُ «رَامَا» مُقْبِلًا عَلَيْهِ، فَأَسْرَعَ إِلَى لِقَائِهِ،
مُسْتَهِينًا بِالْمَوْتِ.
وكان كِلَاهُمَا بَارِعًا فِي الرُّمَایَةِ، فَتَرَامَيَا زَمَنًا، وَأَمْطَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَإِبِلًا
مِنَ النَّبَالِ، دُونَ أَنْ يُصِيبَ مِنْهُ مَقْتَلًا، حَتَّى أَحَسَّ «رَامَا» أَنَّهُ تَعَبَ وَخَارَتْ قُوَاهُ، وَكَادَ
الإِغْيَاءُ وَالْجُهْدُ يُمَكِّنَانِ حَصْمَهُ مِنْهُ، وَيُطْفِرَانِهِ بِهِ، فَجَمَعَ «رَامَا» قُوَّتَهُ، وَرَمَى — عَنْ
قَوْسِهِ — سَهْمًا مَسْحُورًا سَدَدَهُ إِلَى قَلْبِ عَدُوِّهِ، فَأَرْدَاهُ.
وَانْحَدَلَ جَيْشُ الْعَفَارِيثِ — بَعْدَ مَصْرَعِ قَائِدِهِ — فَاسْتَسَلَّمُوا صَاحِرِينَ.

(١٠) فَرَحُ الطَّبِيعَةِ

وَسَادَ الْكُؤُونُ — بَعْدَ مَوْتِ ذَلِكَ الشَّرِيرِ — فَرحٌ عَظِيمٌ، حَتَّى خِيَلَ لِلنَّاسِ كَأَنَّ الطَّبِيعَةَ
كُلَّهَا قَدْ ابْتَهَجَتْ لِمَصْرَعِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَعَنَّتِ الْبُلْبُلُ وَالْكَرْوَانُ عَلَى أَغْصَانِهَا مَحْبُورَةً
(مَسْرُورَةً)، وَانْتَشَرَتِ الْأَزْهَارُ وَالرِّيَاحِينُ، فَملَأَتِ الشُّوَارِعَ وَالْمِيَادِينَ. وَسَمِعَ «رَامَا» أَنَاشِيدَ
رَائِعَةَ الْمَعْنَى، بَارِعَةَ اللَّحْنِ، تُمَجِّدُ صَنِيعَهُ، وَتُشِيدُ بِذِكْرَاهُ.

(١١) على عَرْشِ «لُنْكَا»

ورَأَى «راما» أَنْ يُكَافِئَ صَاحِبَهُ الْعِفْرِيَّةَ النَّبِيلَ «قُبْهَيْشَانَ» أَمِيرَ النَّوَاعِ — أَخَا الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ «رَقَانَا» — فَاسْرَعَ بِتَتْوِيجِهِ عَلَى مُلْكِ أَخِيهِ الْقَتِيلِ، مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى مَا بَدَّلَهُ مِنْ صَنِيعِ جَلِيلٍ.

(١٢) اجْتِمَاعُ الشَّمْلِ

وكَانَتْ «سَيْتَا» جَالِسَةً فِي سُرَادِقِهَا، وَجِدَّةً عَلَى عَادَتِهَا، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا حَدَثَ، فَلَمَّا سَمِعَتْ وَقَعَ أَقْدَامُ قَرِيْبَةٍ مِنْهَا انْزَعَجَتْ، وَحَسِبَتْ «رَقَانَا» قَادِمًا عَلَيْهَا، كَمَا عَوَّدَهَا كُلَّ يَوْمٍ. وَلَكِنَّمَا لَمْ تُبْصِرْ زَوْجَهَا «راما» أَمَامَهَا حَتَّى أَسْرَعَتْ إِلَيْهِ. وَقَدْ كَادَ يُذْهِلُهَا السُّرُورُ الَّذِي فَاجَأَهَا — دُونَ أَنْ تَتَوَقَّعَهُ — فَتَحَدَّرَتْ مِنْ عَيْنَيْهَا دُمُوعُ الْفَرَحِ. وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ الشَّتِيْتُ بَعْدَ أَنْ دَبَّ الْيَأْسُ إِلَى قَلْبَيْهِمَا. وَزَادَ فِي أَفْرَاجِهِمَا أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ — الَّذِي كُتِبَ لَهُمَا أَنْ يَلْتَقِيَا فِيهِ — قَدْ أَعْقَبَ آخِرَ يَوْمٍ يَنْتَهِي بِهِ الْعَامُ الرَّابِعَ عَشَرَ. وَقَدْ افْتَتَحَتْ بِهِ السَّنَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ، أَعْنِي أَنَّهُ كَانَ الْيَوْمَ الْمُقَرَّرَ لِعَوْدَةِ الْمُنْفِيِّينَ إِلَى مَدِينَةِ «أَيْدِيَا» حَاضِرَةَ وَطَنِهَا الْمُحْبُوبِ.

(١٣) أَفْرَاحُ الْوَطَنِ

وَلَمَّا عَرَفَ «هانومان» أَنَّ مَدَّةَ النَّفْيِ قَدِ انْتَهَتْ، أَصْرَعَ عَلَى الْإِسْرَاعِ إِلَى «أَيْدِيَا»؛ لِيُخْبِرَ الْأَمِيرَ «بَهَارَات» أَنَّ أَخَاهُ «راما» وَصَاحِبَتَهُ «سَيْتَا» عَائِدَانِ إِلَى مَدِينَتِهِمَا. وَرَكِبَ «هانومان» عِفْرِيَّتًا مِنْ عِفَارِيَّتِ «لُنْكَا»، فَحَمَلَهُ إِلَى «أَيْدِيَا»، فَبَلَغَهَا بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ.

أَمَّا «قُبْهَيْشَانُ» فَقَدْ أَسْرَعَ — بَعْدَ أَنْ اسْتَتَبَّ لَهُ الْأَمْرُ — فَأَحْضَرَ مَرْكَبَةً عَجِيبَةً لِيَمْتَطِيَهَا الْأُمْرَاءُ، وَهِيَ مُكَلَّلَةٌ بِالْأَزْهَارِ، تَجْرُهَا بَجَعَاتُ ظَرِيفَاتٍ، فَامْتَطَاهَا الْأُمْرَاءُ، بَعْدَ أَنْ وَدَعُوا صَاحِبَهُمْ «قُبْهَيْشَانَ» وَأَوْصَوْهُ بِإِقَامَةِ الْعُدْلِ بَيْنَ عِفَارِيَّتِ الْمَدِينَةِ. وَقَدْ سَاسَهُمْ بِحِكْمَةٍ، بَعْدَ أَنْ قَضَى عَلَى شَيَاطِينِهِمْ وَزَوَابِعِهِمْ، وَقَطَعَ دَابِرَهُمْ، وَكَفَّ شَرَّهُمْ وَأَذَاهُمْ عَنِ النَّاسِ.

(١٤) الْعُودَةُ

وَطَارَتْ الْبَجَعَاتُ فِي الْهَوَاءِ، حَتَّى بَلَغَتْ — بَعْدَ سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ — مَدِينَةَ «أَيْدِيَا» حَيْثُ أَبْصَرَ الْأَمْرَاءُ سُكَّانَهَا يَمْرَحُونَ مُبْتَهَجِينَ بِقُرْبِ عُودَةِ مَلِكِهِمُ الْمَحْبُوبِ.
وَابْتَهَجَ «بَهَارَاتٍ» بِمَقْدَمِ أَخِيهِ الْحَبِيبِ إِلَى نَفْسِهِ، وَتَوَجَّهَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ، الْمُشْتَاتِ إِلَى لِقَائِهِ. وَأَصْبَحَ «رَامَا» وَ«سَيْتَا» — مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — مَلِكَيْنِ. وَقَدْ أَبْلَغَهُمَا الصَّبْرُ مَا أَرَادَهُ، وَحَقَّقَ لَهُمَا الْوَفَاءَ مَا تَمَنَّيَاهُ. وَلَمْ يَبْقَ هُنَاكَ حَاقِدٌ عَلَيْهِمَا، وَلَا حَاسِدٌ لَهُمَا؛ فَقَدْ مَاتَتْ «مَنْتَارَا» الْعَجُوزُ الْمَاكِرَةُ — مُنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ — وَنَدِمَتِ الْمَلِكَةُ «كَيْكِي» عَلَى فَعْلَتِهَا، الشَّنْعَاءِ نَدْمًا شَدِيدًا. وَأَقْبَلَتْ عَلَى «رَامَا» تَسْتَغْفِرُهُ، وَتَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ إِسَاءَتِهَا، وَيَصْفَحَ عَنْ زَلَّتِهَا، فَأَجَابَهَا إِلَى طَلِبَتِهَا، وَنَسِيَ كُلَّ مَا أَسْلَفْتَهُ إِلَيْهِ مِنْ كَيْدٍ وَإِيذَاءٍ، وَشَرٌّ وَبَلَاءٍ.

(١٥) هَدَايَا مَلِكِيَّةٌ

أَمَّا «لَكْشَمَانُ» فَقَدْ مَنَحَهُ أَخُوهُ أَعْلَى أَوْسَمَةِ الدَّوْلَةِ، وَأَسَمَى الْقَابِ الْإِمَارَةَ. وَلَمْ يَنْسَ لَهُ صَبْرَهُ وَنَبَالَتَهُ، وَهَمَّتَهُ وَشَجَاعَتَهُ، كَمَا لَمْ يَنْسَ مَا أَسَدَاهُ إِلَيْهِ صَفِيَّةُ الْحَمِيمِ، الْقَائِدُ الْكَبِيرُ «هَانُومَانُ»؛ فَعَمَرَهُ بِنَفَائِسِ الْهَدَايَا، تَقْدِيرًا لَهُ وَلِمَلِكِهِ «سُجْرِيْفَا».
وَقَدْ سَرَّ «هَانُومَانُ» الشُّجَاعُ مِنْ هَدَايَا صَاحِبِهِ؛ لِأَنَّهَا تَحْوِي أَنْفَسَ الْحُلِيِّ، وَأَثْمَنَ اللَّالِئِ، وَأَرْوَعَ الْكُنُوزِ فَحَسَبُ، وَلَكِنْ لِمَا تَحْمَلُهُ — عَلَى ذَلِكَ — فِي طَيِّبَاتِهَا مِنْ مَعَانِي الْمَحَبَّةِ وَالْوِدَادِ، وَالشُّكْرِ عَلَى مَا آدَاهُ مِنْ جَمِيلٍ، وَصَنِيعِ نَبِيلٍ.

(١٦) خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ



وَهَكَذَا حَتَمَ عَهْدَ النَّفِيِّ وَالشَّقَاءِ، وَوَلَّى زَمَنَ التَّشْرِيدِ وَالْعَنَاءِ، وَانْقَضَتْ أَعْوَامُ الْكَرْبِ
وَالْبَلَاءِ، وَحَلَّتْ بَعْدَهَا سَنَوَاتُ الْبُهْجَةِ وَأَيَّامُ الصَّفَاءِ. وَدَامَ حُكْمُ هَذَيْنِ الْمَلِكَيْنِ زَمَنًا
طَوِيلًا، يَسُودُهُ الْأَمْنُ وَالرِّخَاءُ، وَتَرَفَّرُ عَلَيْهِ رَايَاتُ السَّعَادَةِ وَأَعْلَامُ الْهِنَاءِ. وَقَدْ غَمَرَ
الإِخْلَاصُ أَهْلَ مَمْلَكَةِ «كُوسَالَا» فِي عَهْدِ هَذَا الْمَلِكِ الرَّشِيدِ، وَأَلْفَ بَيْنَهُمُ الْحُبُّ فِي زَمَنِهِ
السَّعِيدِ؛ فَأَصْبَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُحِبُّ لِغَيْرِهِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيُؤَسِّسُهُ (يُصَبِّرُهُ
وَيُعَزِّيهِ) فِي ضَرَائِهِ وَبُؤْسِهِ، وَيَفْرَحُ لَهُ فِي سَرَائِهِ وَأُنْسِهِ.

وَلَمْ يَقْتَصِرِ السُّرُورُ عَلَى عَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ وَحْدَهُ، بَلِ انْتَقَلَ إِلَى عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ بَعْدَهُ،
كَمَا شَمَلَ طَوَائِفَ الْجِنِّ وَزُمَرَ الْعَفَارِيثِ وَالتَّوَابِعِ، الَّذِينَ اسْتَرَاخُوا مِنْ كَيْدِ رُعْمَائِهِمْ مَنْ
الْمَرْدَةِ وَالْأَبَالِسَةِ وَالرَّوَابِعِ.

آخِرَةُ الشَّيْطَانِ

وَعَمَرَ الْفَرْحَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ، وَفَاضَ الْأَنْسُ عَلَى كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، لِانْقِضَاءِ عَهْدِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ، وَحُلُولِ عَهْدِ الْأُلْفَةِ وَالْوِثَامِ، بَعْدَ أَنْ قُوِّضَتْ دَعَائِمُ الطُّغَاةِ وَالْمُسْتَبِدِّينَ، وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْعَتَاةِ وَالظَّالِمِينَ.

وَلَمْ تَنْسَ بِلَادُ الْهِنْدِ عَهْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ الرَّشِيدِ، وَحُكْمَهُ السَّعِيدِ، وَكَيْفَ لَقِيَ — فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى — أَفَانِينَ مِنْ ضُرُوبِ الْحُزْنِ وَالْأَوَانِ الشَّقَاءِ، ثُمَّ جُوزِيَ — عَلَى وَفَائِهِ وَصْبِهِ — أَحْسَنَ الْجَزَاءِ، وَظَفَرَ بِالرَّاحَةِ بَعْدَ التَّعَبِ وَالْعَنَاءِ، وَبِالطَّمَأْنِينَةِ بَعْدَ الْفَزَعِ وَالشَّقَاءِ.

وَمَا زَالُوا يَتَنَاقَلُونَ هَذِهِ الْقِصَّةَ وَاحِدًا عَنْ وَاحِدٍ، وَوَلَدًا بَعْدَ وَالِدٍ، حَتَّى انْتَقَلَتْ مِنَ الزَّمَنِ الْغَائِبِ، إِلَى الزَّمَنِ الْحَاضِرِ، فَنَقَلْتُهَا إِلَيْكَ، وَقَصَّصْتُهَا عَلَيْكَ؛ لِمَا تَحْوِيهِ مِنْ عِبْرَةٍ جَلِيلَةٍ، وَحِكْمَةٍ أَصِيلَةٍ، وَخَيَالٍ رَائِعٍ، وَإِرْشَادٍ بَارِعٍ، وَتَنْبِيهِ وَتَذَكِّرَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ وَتَبْصِرَةٍ.